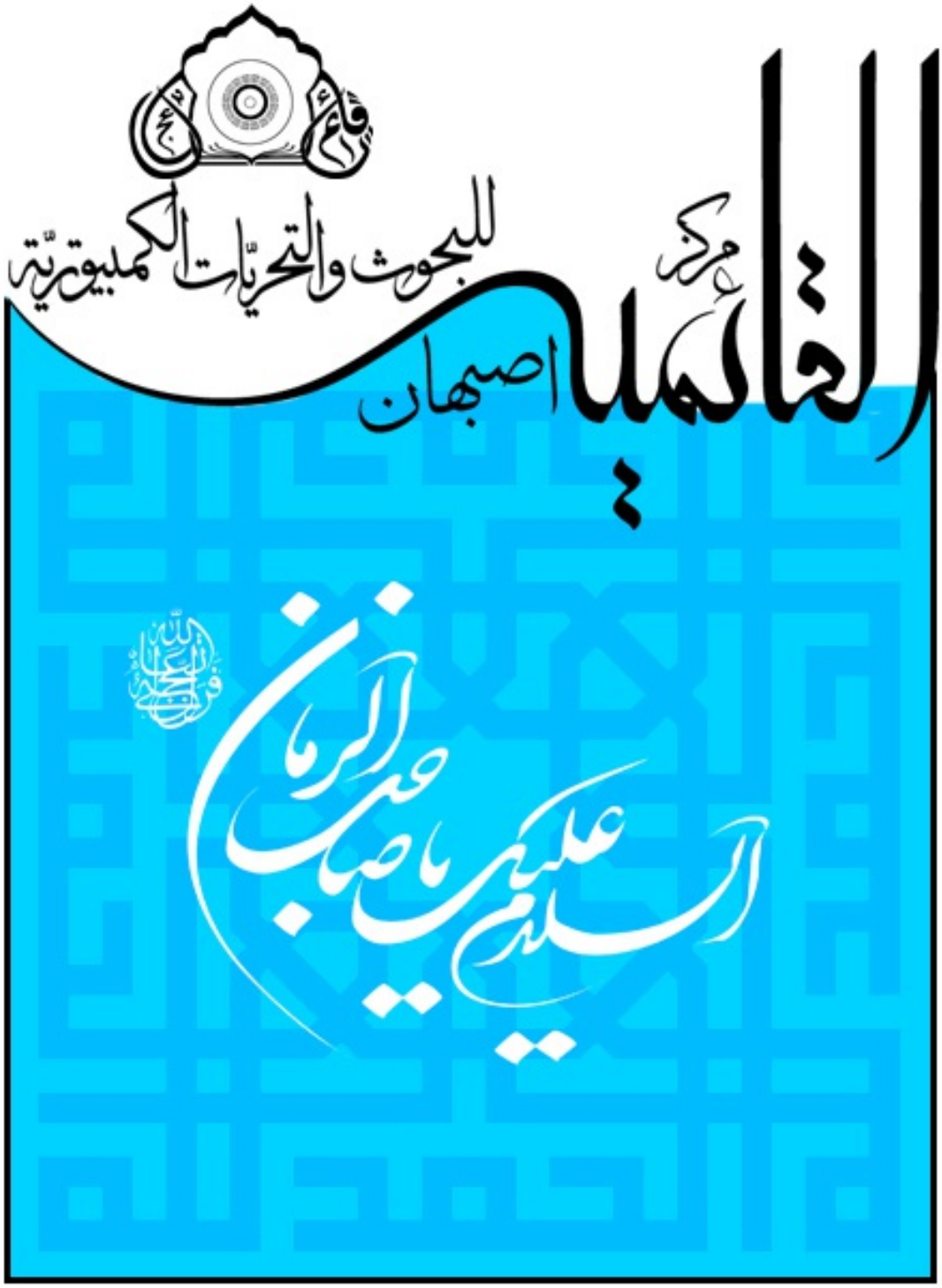

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

ثمار من سيرة

تأليف

أبي المطرف أحمد بن عميرة المخزومي

(توفي ٦٥٨ هـ)

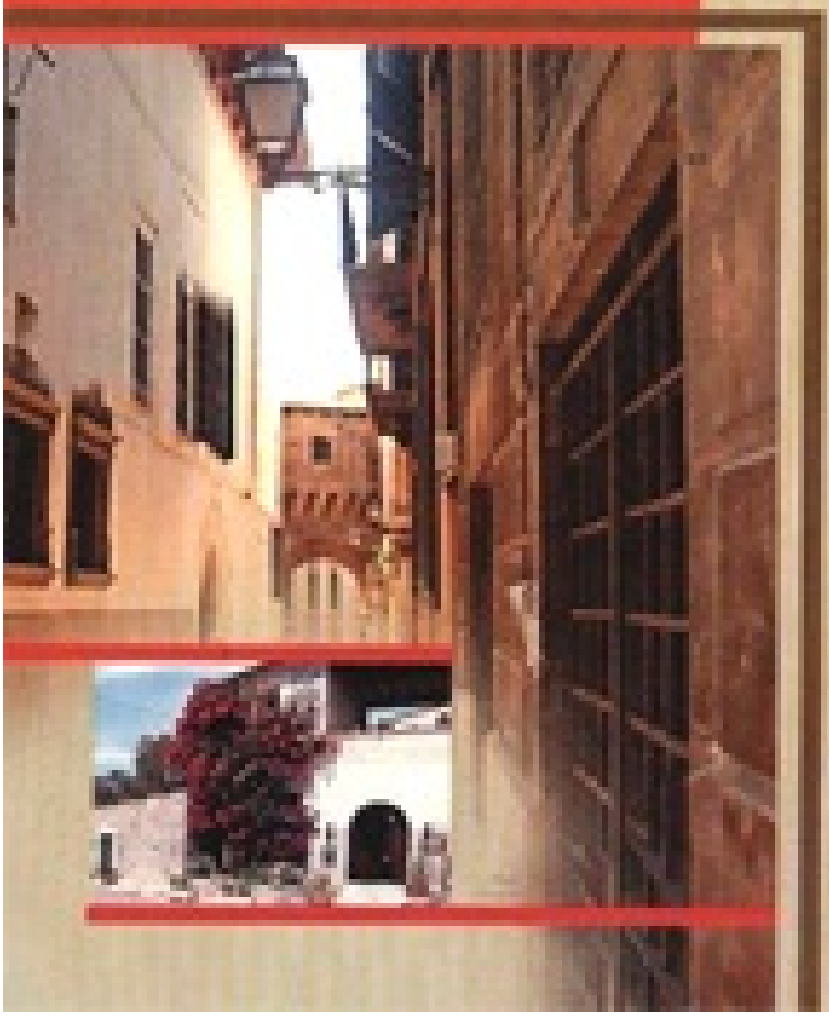

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد بن معمر

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة ١٩٢١

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

تاریخ میورقه

کاتب:

ابوالمطرف، احمد بن عبدالله

نشرت فی الطباعة:

دارالکتب العلمیة

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
تاریخ میورقه ----- ۸
اشارة ----- ۸
التقدیم ----- ۸
اشارة ----- ۸
أولا: مؤلف الکتاب ----- ۸
ثانیا: مؤلفات ابن عمیرة ----- ۱۱
ثالثا: عنوان الکتاب ----- ۱۴
رابعا: الباعث علی تألیف الکتاب ----- ۱۵
خامسا: تاریخ تألیف الکتاب ----- ۱۵
سادسا: أسلوب الکتاب ----- ۱۶
سابعا: محتوی الکتاب ----- ۱۷
۱. میورقة قبل السقوط: ----- ۱۸
۲. والی میورقة أبی یحیی التنملّی: ----- ۱۹
۳. بوادر العدوان الصلیبی علی میورقة: ----- ۲۰
۴. الاستعداد للحرب: ----- ۲۱
۵. تصدع الجبهة الداخلیة المیورقیة عشیة العدوان الصلیبی: ----- ۲۲
۶. الصدام المسلح و فرض الحصار علی مدینة میورقة: ----- ۲۵
۷. سقوط مدینة میورقة: ----- ۲۷
ثامنا: المخطوط و طریقة التحقیق ----- ۲۹
مقدمة المؤلف ----- ۳۱
ابتداء أمر الجزیرة بالأخبار عن أمیرها و تولیه لتدبیرها إلی وقت تدمیرها ----- ۳۲
وصف ما جری من الجزیرة التی هاجت الرّوم لغزو الجزیرة ----- ۳۲

قصة المسطّح و المركب ----- ۳۳
حديث ملک الرّوم حين عاد إليه رسوله من مراده مخفقا و للخبر المثير لأحقاده محققا ----- ۳۴
وصف ما نشأ أثناء هذا التدبير من تهيب الرّوم لهذا المرام الكبير ----- ۳۵
سبب اختلاف الرّعية الجانى على البلد أعظم البلية ----- ۳۶
حديث ما كان بالجزيرة من النظر حين ورد بحركة الرّوم صحيح الخبر ----- ۳۶
ذكر الثورة التى كانت باكورة البطشة الكبيرة و أوّل بلاء نزل من السّماء على الجزيرة ----- ۳۷
قصّة الغراب و تجهيزه بالحث و توجيهه فى البحر للبحث ----- ۳۸
بيان ما أحدثه الوالى ممّا أضرم نار الحرقة و أبرم أسباب الفرقة ----- ۳۸
حديث مفاجأة الأسطول و إطلاله على الساحل للنزول ----- ۳۹
خبر الرّوم حين تأهّبوا بالمرسى المذكور و تهيّأوا من عبره للعبور ----- ۴۰
عاد الحديث عن إطلالهم على البر و إطلاقهم أعنة الشر ----- ۴۰
حديث الوقعة الكبرى ----- ۴۱
قصّة الحصار و ما حفظ فيه من الأخبار ----- ۴۲
حديث اجتماع أهل البادية لإصراخ الحاضرة و مناجزة فئة الكفر الحاصرة ----- ۴۳
ذكر ابن عبّاد و مصيره إلى ارتداء الخزى بالارتداد ----- ۴۳
نظر أهل البلد فى بعث النذر لتلافى هذا الأمر النّكر ----- ۴۴
رجع الحديث إلى أمر الحصر و ما أخطأ أهل البلد بإصابة القدر من النّصر ----- ۴۵
وصف ما جرى من الرأى المدار عند ما شامه الناس من بوارق البوار ----- ۴۶
فرار ولد الوالى ----- ۴۷
خروج أبى حفص بن شيرى من البلد و تمام الأخبار عن مفارقة روح الإيمان لذلک الجسد ----- ۴۷
خبر الوالى بعد انقضاء حربه إلى أن صار إلى جزاء ربّه ----- ۴۹
قصة الجبل ----- ۴۹
فهرس الأعلام و الأماكن و البلدان الواردة فى المخطوط ----- ۵۱
المحتوى ----- ۵۵

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۵۶

تاریخ میورقه

اشارة

پدیدآورنده:
تالیف ابی المطرف احمدبن عمیره المخزومی
موضوع:
اندلس – میورقه – تاریخ
سرشناسه فارسی: محزونی، احمدبن عمیره = – ق۶۵۸
غیره: دراسه و تحقیق محمدبن معمر
محل انتشار: بیروت، لبنان = دارالکتب العلمیه = ق۱۴۲۸.= ۱۳۸۶
صفحه: ۱۵۸ ص
توضیحات: عربی
کتابنامه: کتابنامه : ص . ۱۴۹ – ؛۱۵۳ همچنین به صورت زیرنویس
شناسه ها: اسپانیا – میورقه – تاریخ = معمر، محمد، مصحح
رده بندی کنگره:
DP۱۰۳/ م۳ت۲۱۳۸۶

التقدیم

اشارة

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم من المعروف أن المخطوطات الإسلامیة ببلاد الغرب الإسلامی قد ابتلیت خلال تاریخها الطویل بآفة الضیاع، و ذلک بسبب المحن العدیدة التی ألمت بها، فقد أنتج أهل العلم بهذه البلاد عددا ضخما من التآلیف المختلفة یصعب حصرها، إلا أن أغلبها قد ضاع أو صار فی حکم المفقود، و لکن الأمل یبقی قائما فی العثور علی بعضها سیما فی خزائن المخطوطات التی لم تفهرس بعد. و من المخطوطات التی حفظتها لنا خزانة آل بلّعمش هذا الأثر النفیس و النص الهام الذی أقدّمه للمهتمین بتراث الغرب الإسلامی و هو تاریخ میورقة لابن عمیرة المخزومی.

أولا: مؤلف الکتاب

لم یکن مؤلف هذا الکتاب نکرة فی عصره، و لا رجلا مغمورا طاله النسیان، بل کان فقیها ذائع الصیت، أدیبا طائر الذکر، معروفا لدی القاصی والدانی. فهو أبو المطرّف أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن الحسین بن عمیرة المخزومی ، الذی عاش بین سنتی ۵۸۲– ۶۵۸ ه/ ۱۱۸۶– ۱۲۶۰ م، أی ستة

تاریخ میورقه، ص: ۴

و سبعین سنة هجریة (أربعة و سبعین سنة میلادیة). و یعتبر العصر الذی عاش فیه ابن عمیرة من أحفل العصور بالأحداث التاریخیة فی الغرب الإسلامی عامة و الأندلس خاصة، و هی أحداث احتک و تأثر بها و شارک فی صنعها.

و قد أجمع مترجموه على تحليته بالنسب المخزومى و منهم معاصره و ابن بلده ابن الأبّار حيث يقول ":و كان بجزيرة شقر بنو عميرة المخزوميون بيت شيخنا القاضى الكاتب أبى المطرف أبقاه اللّه . "و كانت ولادته فى شهر رمضان بجزيرة شقر القريبة من شاطبة، بينها و بين بلنسية ثمانية عشر ميلا- شرق الأندلس، و هى الجزيرة التى تحدث عنها الجغرافيون و المؤرخون الأندلسيون و غيرهم بكل إعجاب لجمال موقعها و سحر طبيعتها.

و أتيحت لابن عميرة الفرصة فى هذا العمر الطويل ليصيب من العلم أوفر نصيب سمح به زمانه، و يمكن التمييز فى حياته الدراسية بين ثلاث مراحل: الأولى تتميز بالإقبال على الثقافة الدينية بوجه عام، و الثانية تبرز فيها العناية بالثقافة العلمية العقلية، و الأخيرة يظهر فيها الجنوح نحو الثقافة الأدبية، و هو ما أجمله ابن عبد الملك فى النص التالى ":و كان فى بداية طلبه للعلم شديد العناية بشأن الرواية فأكثر من سماع الحديث و أخذه عن مشايخ أهله، ثم تفنن فى العلوم و نظر فى المعقولات و أصول الفقه، و مال إلى الآداب و برع فيها ."

و من شيوخه الأندلسيين الذين أخذ عنهم و تتلمذ لهم، الشيخ أبو الرّبيع سليمان بن موسى الكلاعى (۵۶۵- ۶۲۴ ه)، و هو من أكبر أساتذته

تاريخ ميورقه، ص: ۵

و أبعدهم أثرا فى حياته، و الشيخ أبو الخطاب أحمد بن محمد بن واجب القيسى (۵۳۷- ۶۱۴ ه)، و الأستاذ أبو عبد اللّه محمد بن أيوب السرقسطى (۵۳۰- ۶۰۸ ه)، و الأستاذ ابن حوط اللّه الأنصارى (۵۵۲- ۶۲۱ ه)، و الشيخ أبو على بن الشلوبين، و الشيخ ابن عات و غيرهم، و أجازه من المشارقة أبو الفتوح الحصرى.

بعد أن فرغ ابن عميرة من حياة الدّرس و التحصيل العلمى و انتهى من التنقل بين شقر و بلنسية و شاطبة و دانية و مرسية و غيرها بحثا عن الشيوخ، رجع إلى بلنسية بقصد الاستقرار و الحصول على وظيفة تناسب ثقافته و طموحه "،ذلك أن ابن عميرة كان منذ البداية يسعى وراء خطة الكتابة لما كانت توفره لصاحبها من الثراء و النفوذ و الجاه و السلطان، و للمكانة الرفيعة التى كان يحظى بها الكاتب فى المجتمع الأندلسى ."

استهل ابن عميرة حياته الإدارية بالكتابة عن والى بلنسية السيد أبى عبد اللّه محمد بن أبى حفص عمر بن عبد المؤمن فى سنة ۶۰۸ ه، و فى سنة ۶۱۷ ه انتقل إلى إشبيلية و كتب عن واليها الموحدى السيد أبى العلاء الكبير.

و فى سنة ۶۲۰ ه عاد إلى بلنسية و تولى خطة الكتابة عند الوالى السيد أبى زيد عبد الرحمن بن أبى عبد اللّه محمد بن أبى حفص عمر بن عبد المؤمن، و ظل متوليا لها حتى سنة ۶۲۶ ه و هى السنة التى ثار فيها الرئيس أبو جميل زيان ابن سعد بن مردنيش الجذامى على الوالى الموحدى و افتك منه بلنسية، و قد احتفظ الأمير الجديد بابن عميرة كاتبا عنده حتى سنة ۶۲۸ ه تاريخ انتقاله إلى جزيرة شقر حيث اشتغل مؤقتا بالكتابة عن واليها أبى عبد اللّه بن مردنيش.

و فيما بين سنة ۶۳۰ و سنة ۶۳۳ ه اشتغل بوظيفة القضاء فى مدينة شاطبة،

تاريخ ميورقه، ص: ۶

و فيما بين سنة ۶۳۳ و سنة ۶۳۶ ه كاتبا فى مرسية، و منها توجه إلى غرناطة آخر مرحلة فى طريقه إلى العدوة المغربية حيث ينتهى الفصل الأول من حياة ابن عميرة الإدارية فى الأندلس .

غادر ابن عميرة الأندلس و عبر البحر إلى المغرب يحدوه الأمل فى الحصول على عمل فى بلاط بنى عبد المؤمن بمراكش بعد أن فقده فى بلاده التى اضطربت أحوالها و سقط الكثير من قواعدها فى يد النصارى. و كان حلوله بمدينة سبتة فى أول سنة ۶۳۷ ه حيث أقام زمنا يسيرا عند و اليها صديقه الرئيس أبى على الحسن بن خلاص البلنسى. و فى السنة نفسها ورد على الخليفة الموحدى الرشيد أبى محمد عبد الواحد بن أبى العلاء إدريس المأمون (۶۳۰- ۶۴۰ ه) و صحبه حين قفوله من مدينة سلا إلى حضرة مراكش .

و استكتبه الرشيد مدة يسيرة، ثم صرفه عن الكتابة و قلّده قضاء مدينة هيلانة شرق مراكش، و قد تأثر ابن عميرة بهذا العزل عن خطة الكتابة و شكا ذلك إلى أصدقائه فى رسائله الإخوانية و قصائده الشعرية التى تفيض بالحزن و الأسى و ندب الحظ. و يبدو أنه عبّر عن تبرّمه بهذا الإقليم لدى بعض حاشية السلطان فتوسطوا لديه عنده حتى نقله سنة ۶۳۹ ه إلى قضاء الرباط و سلا، و أقام يتولّاه إلى أن توفى الرشيد و خلفه أخوه الخليفة الموحدى العاشر أبو الحسن السعيد (۶۴۰- ۶۴۶ ه) فأقرّه عليه مدة ثم نقله إلى قضاء مدينة مكناسة الزيتون.

و لما بايع أهل مكناسة الأمير أبا زكرياء الحفصى، كان القاضى أبو

تاريخ ميورقه، ص: ۷

المطرّف هو الذى كتب نص البيعة فى ۲۰ ربيع الأول ۶۴۳ ه، و حين قام إليهم الخليفة السعيد بحنق عظيم بادروا بطلب العفو و اعتذروا عما بدر منهم و بايعوه من جديد و كتب نص البيعة ابن عبدون فى ذى الحجة من نفس السنة . و كان ما أقدم عليه ابن عميرة من أخطر المواقف فى حياته و ذلك بإسهامه فى محاولة فصل مكناسة عن دولة الموحدين التى كانت فى طريقها إلى الانهيار. و لما قتل الخليفة الموحدى السعيد فى صفر سنة ۶۴۶ ه، اغتنم ابن عميرة تلك الظروف و غادر مكناسة قاصدا مدينة سبتة، و فى طريقه إليها سلبت منه ثروته فى فتنة بنى مرين الذين بسطوا نفوذهم على المغرب الشرقى و كانت الدولة الموحدية فى ذلك الوقت عرضة لهجماتهم. و قد كتب إلى الشيخ أبى الحسن الرعينى يعلمه بهذه الحادثة و أن ماله المنهوب قد بلغ أربعة آلاف دينار و كان ورقا و عينا و حليا .

كان ابن عميرة كثير التطلع إلى إفريقية معمور القلب بسكناها مذ فارق جزيرة الأندلس، لذلك و بعد أن أقام فترة قصيرة فى سبتة عند و اليها الرئيس الأندلسى ابن خلاص الذى اشتغل بالكتابة عنه فيما يبدو، ركب البحر متوجها إلى إفريقية حيث ينتهى الفصل الثانى من حياته الإدارية فى المغرب.

و وصل مدينة بجاية فى شهر جمادى سنة ۶۴۶ ه و دخل على صاحبها الأمير أبى يحيى ابن الأمير أبى زكرياء الحفصى و كان صاحبها لأبيه. و أقام ابن عميرة فى بجاية حوالى سنتين يعلّم و يدرّس، و كان الطلبة أثناء ذلك يقرأون عليه تنقيحات السهروردى فى أصول الفقه التى لم يكن يتعرض لإقرائها إلا

تاريخ ميورقه، ص: ۸

من له ذهن ثاقب .

و قد أجاز ابن عميرة خلال إقامته ببجاية بعض طلبتها، كما استجاز لنفسه و ولديه على سبيل التبرك بعض علمائها، و شارك فى المجالس العلمية التى كانت تنعقد بمنزل صديقه ابن محرز البلنسى شيخ الجماعة الأندلسية يومئذ، و كان يحضرها أقطاب الأندلسيين و فى مقدمتهم ابن الأبار و ابن الجنان و ابن سيد الناس و غيرهم. و لم يتوقف ابن عميرة عن نشاطه الأدبى فى هذه المدينة حيث كاتب العديد من أصدقائه .

انتقل ابن عميرة من بجاية إلى مدينة تونس حيث مال إلى صحبة الصالحين بها و الزهاد أهل الخير برهة من الزمان، ثم نزع عن ذلك . و قد تغلبت عليه رغبته فى خدمة الملوك فقنع بوظيفة القضاء فى الأقاليم، فتقلده فى الأربس و فى قسنطينة ثم فى قابس حيث طالت مدته. و استدعاه الأمير الحفصى المستنصر بالله محمد بن أبى زكرياء (۶۴۷- ۶۷۵ ه) و صار من خواص الحاضرين بمجلس حضرته و من فقهاء دولته. و استطاع ابن عميرة أن ينعم فى هذه الفترة الأخيرة من عمره بالحياة السعيدة التى كان ينشدها فى ظل الأمير الحفصى، سيما و أن تونس كانت تعيش يومئذ عصرها الذهبى من مختلف الوجوه. و ظل ابن عميرة بالمنزلة الرفيعة من الدولة الحفصية و المكانة العالية عند أهل العلم و الأدب إلى حين وفاته بتونس فى ۲۰ من شهر ذى الحجة سنة ۶۵۸ ه .

تاريخ ميورقه، ص: ۹

و فى ختام هذا التقديم الموجز لحياة ابن عميرة يجدر بنا أن نورد بعض الشهادات فى حقه، فهذا معاصره و ابن بلده ابن الأبار قد حلّاه بالعبارات التالية ":فائدة هذه المائة و الواحد يفى بالفئة، الذى اعترف بإجادته الجميع، و اتصف بالإبداع فماذا يتصف به البديع، و معاذ اللّه أن أحابيه بالتقديم، لما له من حق التعليم، كيف و سبقه الأشهر، و نطقه الياقوت و الجوهر، تحلت به الصحائف و المهارق، و ما تخلت عنه المغارب و المشارق، فحسبى أن أجهد فى أوصافه، ثم أشهد بعدم إنصافه، هذا على تناول الخصوص و العموم لذكره، و تناول المنثور و المنظوم على شكره ."

و هو عند ابن عبد الملك ":علم الكتابة المشهور، و واحدها الذى عجزت عن ثانيه الدّهور، و لا سيما فى مخاطبة الإخوان، هنالك استولى على أمد الإحسان، و له المطولات المنتخبة و القصار المقتضبة، و كان يملح كلامه نظما و نثرا بالإشارة إلى التاريخ و يودعه إلماعات بالمسائل العلمية منوعة المقصد ... و كان حسن الخلق و الخلق، جميل السعى للناس فى أغراضهم، حسن المشاركة لهم فى حوائجهم، متسرعا إلى بذل مجهوده فيما أمكن من قضائها بنفسه و جاهه ."

أما صاحب الإحاطة فقد قال فى حقّه ":و على الجملة فذات أبى المطرف فيما ينزع إليه، ليست من ذوات الأمثال، فقد كان نسيج وحده إدراكا و تفننا، بصيرا بالعلوم، محدثا مكثرا، راوية ثبتا، سجرا فى التاريخ و الأخبار، ديّانا مضطلعا بالأصلين، قائما على العربية و اللغة، كلامه كثير الحلاوة و الطلاوة، جمّ العيون غزير المعانى و المحاسن، وافد أرواح المعانى، شفاف

تاريخ ميورقه، ص: ۱۰

اللّفظ حرّ المعنى، ثانى بديع الزمان فى شكوى الحرفة و سوء الحظ و رونق الكلام و لطف المأخذ، و تبريز النثر على النظم و القصور فى السلطانيات ."

و جاء عنه فى عنوان الدراية أنه ":الشيخ الفقيه، المجيد المجتهد، العالم الجليل الفاضل، المتقن المتفنن، أعلم العلماء، و تاج الأدباء، له أدب هو فيه فريد دهره، و سابق أهل عصره، وفاق الناس بلاغة، و أربى على من قبله ."

و قال فيه بعض علماء المغرب ":هو قدوة البلغاء، و عمدة العلماء، و صدر الجلة الفضلاء، و نكتة البلاغة التى قد أحرزها و أودعها، و شمسها التى أخفت ثواقب كواكبها حين أبدعها مبدع البدائع و التى لم يخض بها قبله إنسان، و لا ينطق عن تلاوتها لسان، إذ كان ينطق عن قريحة صحيحة، و روية بدرر العلم الفصيحة، ذللت له صعب الكلام، و صدقت رؤياه حين وضع سيد المرسلين فى يديه الأقلام ."

تلك هى أبرز معالم سيرة أبى المطرف المخزومى الذى عاش حياة إدارية و علمية حافلة بالأعمال و زاخرة بالأحداث، حيث تقلّد مناصب سامية فى دول مختلفة، و تنقل خلالها فى كثير من بلدان الأندلس و المغرب و إفريقية، و عاصر أحداثا سياسية كبرى. و لكنها كانت حياة مضطربة متقلبة و هى ظاهرة عامة اتسمت بها حياته فى كل أطوارها، شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من أبناء عصره و وطنه. و يبقى ذلك الأديب الطائر الذكر، المولع بالتاريخ و الأدب معروفا لدى القاصى والدانى بأناقة أسلوبه المزخرف و غزارة لغته.

تاريخ ميورقه، ص: ۱۱

ثانيا: مؤلفات ابن عميرة

اشتهر ابن عميرة بثقافته الواسعة و المتنوعة، فقد كان كما وصفه صاحب تاريخ آداب العرب، خزانة من خزائن العلوم ، و قد رأينا فيما سبق بعض الشهادات فى حقه التى تثبت هذا الرأى. و كان متفننا فى منقول و معقول تلك العلوم، مدققا فى أصولها و فروعها محدثا مكثرا، راوية ثبتا، متبحرا فى التاريخ و الأخبار، مضطلعا بالأصلين، قائما على العربية و اللغة، بارعا فى الأدب و فنونه، مولعا بعلوم الفلسفة و المنطق و الفلك و الطب.

و كانت هذه الثقافة الدينية و العلمية العقلية و الأدبية الواسعة نتيجة حياة طلب و تحصيل طويلة، ناهيك عن تقلده المناصب السامية

التی مکنته من استنساخ النوادر و دراستها، و اهتمامه بقراءة الجدید من إنتاج معاصریه المشارقة و المغاربة، فجاء إنتاجه العلمی ثمرة لتلک الثقافة التی ألّف فی حقولها المعرفیة مجموعة من التآلیف و هی:

۱- الرسائل: انتهت إلی ابن عمیرة رئاسة صناعة الکتابة و الترسّل فی عصره، و شهد له بالإمامة فیها فحول الکتّاب و المترسلین من معاصریه و من جاء بعدهم، فقد وصفه ابن سعید بقوله ":هو الآن عظیم الأندلس فی الکتابة و فی فنون من العلوم . "و قد أنتج عددا هائلا من الرسائل الدیوانیة و الإخوانیة، ساعدته فی ذلک موهبته البلاغیة و مقدرته الکتابیة، إلی جانب اتخاذ الترسل حرفة، و شغله خطة الکتابة أکثر أوقات حیاته لدی الکثیر من الأمراء و الخلفاء. و کانت ظروف عمله من أکثرها استدعاء للمکاتبات

تاریخ میورقه، ص: ۱۲

و المراسلات بحکم ما ساد ذلک العصر من فتن و اضطرابات .

و یبدو أن ابن عمیرة لم یکن یهتم بجمع رسائله و تدوینها، رغم کثرة المعجبین بها و الراغبین فیها من أبناء عصره، و لعل ذلک کان بسبب نظرته المتواضعة إلی هذه الرسائل التی لم تکن تستحق التدوین و الطلب کما عبّر عن ذلک فی بعضها، و إنما جمعها غیره من تلامیذه و من أتی بعدهم. و من هؤلاء صدیقه الأدیب البلنسی أبو جعفر العقیلی (ت ۶۶۴ ه) الذی لازم ابن عمیرة فی إفریقیة و جمع مجموعة من تلک الرسائل التی آلت إلی ابن عبد الملک المراکشی، و هی التی نجدها متفرقة فی کتابه الذیل و التکملة فی تراجم مختلفة.

کما وردت مجموعة من هذه الرسائل فی الجزء الثالث من مجموع زواهر الفکر و جواهر الفقر لابن المرابط الذی خصّصه لمعاصریه من کتاب و شعراء الاندلس فی القرن السابع الهجری. کما نجد طائفة أخری من رسائل ابن عمیرة فی عنوان الدرایة للغبرینی، و فی رحلة التجانی، و بیان ابن عذاری، و الروض المعطار للحمیری، و صبح الأعشی للقلقشندی و غیر ذلک من المصادر. أما المحاولة الجادة لجمع هذه الرسائل فتلک التی قام بها أبو عبد اللّه محمد بن هانئ السبتی (ت ۷۳۳ ه) الذی دوّنها و رتبها فی کتاب من سفرین و سمّاه ":بغیة المستطرف و غنیة المتطرف من کلام إمام الکتابة ابن عمیرة أبی المطرّف . "و توجد منه نسختان مخطوطتان فی الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ۲۳۲ ک و رقم ۲۳۳ ک، و لدینا نسخة مصورة عن النسخة الأصلیة الموجودة بزاویة تندوف.

تاریخ میورقه، ص: ۱۳

۲- کتاب التنبیهات علی ما فی التبیان من التمویهات: و هو کتاب ألّفه فی الردّ علی "کتاب التبیان فی علم البیان المطلع علی إعجاز القرآن "من تألیف أحد معاصریه المشارقة و هو أبو محمد عبد الواحد بن عبد الکریم الزملکانی من أعلام البلاغة فی القرن السابع الهجری و صاحب علم المعانی و البیان، و قد انتهی من تألیفه فی شهر رمضان سنة ۶۳۷ ه، و یعتبر کتاب التبیان من المصادر المعروفة فی علم البلاغة إذ وجد طریقه إلی الغرب الإسلامی بزمن یسیر بعد تألیفه، فانبری ابن عمیرة للردّ علیه.

و کتاب التنبیهات مخطوط یقع فی ۶۹ ورقة و هو مکتوب بخط مغربی و توجد نسخة منه بمکتبة الأسکوریال تحت رقم ۹۶۷، و یبدو أنه کان بخزانة السعدیین التی آل کثیر من مجلداتها إلی خزانة الأسکوریال بعد حادثة القرصنة المعروفة. کما توجد نسخة أخری منه بالخزانة العامة بالرباط و علیهما اعتمد الدکتور محمد بن شریفة فی تحقیق هذا الکتاب و التقدیم له، و تم طبعه بمطبعة النجاح الجدیدة بالدار البیضاء سنة ۱۹۹۱. و قد ألّفه ابن عمیرة أثناء إقامته بتونس، و سلک فیه طریقة عرض کلام صاحب التبیان ملخصا ثم یردفه بالتعقیب و المناقشة التی انصبت علی الجزئیات، و الکتاب لا یخلو من آرائه البلاغیة مما یؤکد تنوع ثقافته وسعة اطلاعه.

۳- تعقیب علی کتاب المعالم للفخر الرّازی: و هو من مؤلفات ابن عمیرة المفقودة الیوم، و قد ورد العنوان عند بعض الذین ترجموا له بصیغ مختلفة و لکنها ألفاظ متقاربة. فابن عبد الملک و ابن الخطیب یستعملان کلمة "تعقیب، "بینما یصفه ابن فرحون بأنه "ردّ، "أما الغبرینی الذی جعله "تعلیقا "فقد اطلع علیه و قال عنه ":و قد رأیت له تعلیقا علی کتاب المعالم فی أصول

تاریخ میورقه، ص: ۱۴

الفقه لا- بأس به، و هو جواب لسؤال سائل، و هو مكمّل لعشرة أبواب حسبما سأل السائل . "و يدل هذا الكتاب على ولع ابن عميرة بالردّ على أعلام المشارقة من معاصريه، كما يؤكد إلمامه بالعلوم العقلية و الجدلية و تضلّعه فيها.

و كتاب المعالم الذى عقّب عليه ابن عميرة هو من تأليف الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرّازى (ت ۶۰۶ ه) صاحب التآليف العديدة فى علم الكلام و الأصول و غيرهما، و كان إمام الدنيا فى عصره كما يقول ابن الأثير .

و تمثل مؤلفاته مدرسة جديدة فى الكلام و الأصول اتسمت بطرقها المقفلة و قوانينها المغلقة و تقسيماتها الكثيرة، و هى تختلف عن طريقة الأقدمين فى الأصلين طريقة الغزالى و الجوينى التى كان ينتمى إليها ابن عميرة فيما يبدو، سيما و أنه كان كثير العناية بكتاب المستصفى للغزالى.

۴- اقتضاب من تاريخ المريدين: و هو ثانى كتاب فى التاريخ ألّفه ابن عميرة بالإضافة إلى تاريخ ميورقة، و يعتبر من المؤلفات المفقودة اليوم. و قد ورد هذا العنوان عند ابن عبد الملك فى الذيل و عند ابن الخطيب فى الإحاطة ، أما المقرى فقد ذكره فى النفح قائلا ":و له اختصار نبيل من تاريخ ابن صاحب الصلاة . "و لسنا نعلم هل اطّلع المقرى على هذا الكتاب كما اطلع على تاريخ ميورقة و نقل عنه أم لا، كما أننا نجهل الدافع الذى جعل ابن عميرة يقدم على اختصار تاريخ المريدين.

تاريخ ميورقه، ص: ۱۵

أما الأصل المختصر فهو من تأليف أبى مروان عبد الملك بن محمد ابن أحمد الباجى المشهور بابن صاحب الصلاة (ت ۵۷۷ ه) الذى ألّف كتابين فى التاريخ: أولهما كتاب ثورة المريدين الذى اختصره ابن عميرة، و الثانى كتاب تاريخ المن بالإمامة الذى حقق السفر الثانى منه عبد الهادى التازى و نشرته دار الغرب الإسلامى، و هو الجزء الباقى من الكتاب. و قد أشار ابن صاحب الصلاة فى هذا الجزء من المن إلى كتابه تاريخ المريدين فى سبعة مواطن، فى ستة منها أورده بعنوان تاريخ المريدين، و فى الموطن السابع و الأخير ذكره بعنوان ثورة المريدين . و بهذه التسمية الأخيرة أشار إليه ابن الأبار و نقل عنه فى الحلة السيراء . و سمّاه ابن سعيد "تأريخ الدولة اللمتونية "فى تذييله على رسالة ابن حزم .

يتناول كتاب ثورة المريدين تاريخ المرابطين و قيام المريدين عليهم فى غرب الأندلس سنة ۵۳۹ ه. و كلمة المريدين هى الاسم الذى عرفت به الطائفة الدينية التى تزعمها أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسى الذى ادعى المهدوية، و كان أول الثائرين على المرابطين بالأندلس فى وقت رسمه لأتباعه من هذه السّنة القارضة ملك اللمتونيين كما يقول ابن الأبار ، و كان شعار المريدين التهليل و التكبير. فهذه المرحلة القلقة المضطربة من تاريخ الأندلس هى التى عالجها ابن صاحب الصلاة فى هذا الكتاب، و يبدو أنه كان ينوى الاقتصار على ثورة المريدين ثم وسع آفاقه إلى تدوين تاريخ شامل للدولة الموحدية فكتب عنها تاريخ المن بالإمامة.

تاريخ ميورقه، ص: ۱۶

۵- تاريخ ميورقة: موضوع هذه الدراسة و لنا إليه رجعة.

۶- المواعظ: لقد ألحّ الأندلسيون خلال عصر المؤلف فى معارضة الكتابة فى الزهديات و المواعظ المشرقية و السّير على منوالها، و منها رسالة ملقى السبيل لأبى العلاء المعرّى التى عارضها أبو القاسم السهيلى و سمى معارضته ":حلية النبيل فى معارضة ملقى السبيل، "و أبو العباس الغمّاز و سمى كتابه ":مفاوضة القلب العليل على طريقة أبى العلاء المعرى فى ملقى السبيل . "و أبو القاسم القرطبى و أبو الربيع الكلاعى و غيرهم.

و كان صاحبنا ابن عميرة من المساهمين فى هذا الفن، و قد أشار إلى مواعظه ابن عبد الملك فى موضعين من ترجمته، جاء فى الأول ":و له فصول وعظية على طريقة الإمام أبى الفرج بن الجوزى ، "و قال فى الثانى ":و له مجالس وعظية كان يصنعها للواعظ الفاضل الصالح أبى محمد بن على بن أبى خرص رحمه اللّه . "و قد ساق ابن عبد الملك فى الذيل أمثلة من تلك الفصول و المجالس، كما توجد أمثلة منها أيضا فى رسائله، و لا يعلم إذا كانت تلك المواعظ قد جمعت و دونت فى كتاب على غرار ما فعل

ابن هانئ فى الرسائل.

۷- مؤلفات أخرى: يستفاد من المصادر التى ترجمت للمؤلف و فى مقدمتها ابن عبد الملك و ابن الخطيب، أنه ترك آثارا و مؤلفات أخرى و لكنها لم تذكر عناوينها. فقد جاء فى الذيل فى معرض الكلام عن مؤلفات ابن عميرة عبارة "إلى غير ذلك من التعاليق ، "و فى الإحاطة "إلى غير ذلك من

تاريخ ميورقه، ص: ۱۷

التعاليق و المقالات . "و هى من مؤلفاته المفقودة اليوم.

ثالثا: عنوان الكتاب

وردت الإشارة إلى هذا الكتاب عند ابن عبد الملك فى الذيل على النحو التالى ":و له تأليف فى كائنة ميورقة و تغلّب الروم عليها ،" و العبارة نفسها ذكرها ابن القاضى فى جذوة الاقتباس ، و سمّاه ابن فرحون فى الديباج بالتسمية نفسها . أما طبعة دار المعارف القاهرية القديمة لإحاطة ابن الخطيب فقد ورد فيها على أنه تأليف فى كائنة المرية، و هى طبعة تم الاعتماد فى نشرها على المخطوط المحفوظ فى جامع الزيتونة بتونس الذى ذكرت فيه العبارة سهوا أو خطأ من الناسخ . و لكن بقية نسخ الإحاطة المخطوطة و الطبعات الجديدة تتفق فى تسمية الكتاب مع ما ذهبت إليه المصادر السابقة من أنه تأليف فى كائنة ميورقة و تغلب الروم عليها .

و الظاهر أن بعض المتأخرين الذين اعتمدوا طبعة القاهرة للإحاطة فى ترجماتهم لابن عميرة، قد وقعوا فى الخطأ نفسه حين أشاروا إلى الكتاب على أنه تأليف فى كائنة المرية، و من هؤلاء المؤرخ ابن زيدان فى الإتحاف ، و الزركلى فى الأعلام ، و عمر رضا كحالة فى معجم المؤلفين

تاريخ ميورقه، ص: ۱۸

و غيرهم. أما المستشرق الإسبانى جنثالث بالنثيا الذى جعله كتابا فى فضائل ميورقة و تاريخها، فقد عاد فى الصفحة ذاتها ليؤكد التسمية نفسها الواردة عند ابن عبد الملك و غيره .

أما المقرى فقد أشار إلى الكتاب فى موضعين من موسوعته نفح الطيب، حيث يتفق مع المصادر السابقة فى التسمية نفسها، و لكنه ينفرد فى الموضع الثانى عن هذه المصادر حين يشير إليه على أنه "تاريخ ميورقة "و ينقل عنه ، و هذه التسمية هى الموجودة فى النسخة المعتمدة فى التحقيق.

و هذا ما يدفعنا إلى التساؤل فيما إذا كانت هذه التسمية أو التى سبقتها هى العنوان الحقيقى للكتاب، و أيّهما كانت من وضع المؤلف. يبدو أن عبارة "تأليف فى كائنة ميورقة و تغلب الروم عليها "التى ذكرها ابن عبد الملك و نقلها من جاء بعده هى تعبير و وصف للعنوان أكثر مما هى عنوان، و إن كانت تعبّر عن المحتوى الحقيقى للكتاب الذى يتناول كائنة (حادثة) سقوط جزيرة ميورقة و ليس تاريخها بالمفهوم الشامل حسبما يوحى به العنوان الثانى و هو "تاريخ ميورقة "المثبت فى النسخة المخطوطة و المشار إليه فى نفح الطيب.

أما عن علاقة المؤلف بالعنوان فإننى أشك أن يكون ابن عميرة قد وضع اسما للكتاب آية ذلك العبارة الواردة فى مقدمة الكتاب التى تقول:

"هذا ذكر من خبر ميورقة و تغلّب الروم عليها، من حين أدارت الروم أمرها، و أرادت أسرها، إلى أن محقت حقها، و ملكت رقها، و أخرجت الإيمان من قلبها، و زجرت أغربتها لفل غربها، "و هى فقرة طويلة لا تصلح أن تكون

تاريخ ميورقه، ص: ۱۹

عنوانا للكتاب، و أن سياق الكلام فيها يوحى بأن المؤلف لم يكن يقصد بها تسمية الكتاب، سيما و أن مؤلّفى تلك العصور غالبا ما

كانوا يضعون عناوين مسجوعة لمؤلفاتهم و يشيرون إلى ذلك فى المقدمة.

و عليه فإنه من الأرجح أن يكون عنوان "تاريخ ميورقة "الوارد فى النسخة المخطوطة من وضع الناسخ، و أن هذا العنوان هو الذى عرف به الكتاب و تداوله الناس، فى عصر المقرى (أواخر القرن السادس عشر و أوائل السابع عشر الميلاديين)، و قد أبقيت على العنوان نفسه و به أقدّم الكتاب للقارئ الكريم و إلى كل مهتم بتراث الفردوس المفقود.

رابعا: الباعث على تأليف الكتاب

ذكر المؤلف فى مقدمة الكتاب أن الباعث على تأليفه كان بطلب من أحد إخوانه من أهل جزيرة ميورقة. و كان هذا الرجل الذى لم يذكر ابن عميرة اسمه من أثرياء الجزيرة و أغنيائها و أصحاب الجاه فيها أى كان مترباً كما قال المؤلف، ثم عاد تربا أى فقيرا قليل المال فى ديار الغربة بعد سقوط ميورقة فى يد النصارى. و كما أهمل المؤلف ذكر اسم هذا المترب، بخل علينا أيضا بتحديد المدينة أو البلد الذى لجأ إليه و صار فيه تربا.

بعد أن سقطت ميورقة و قواعد و حصون شرق الأندلس الأخرى على يد مملكة أراجون، هاجر الكثير من أبناء هذه الجهات ممن رفضوا العيش تحت حكم النصارى إلى مدن و حواضر بلاد المغرب و إفريقية. فاستقرت تلك الجماعات الأندلسية اللاجئة فى سبتة و رباط الفتح و بجاية و تونس و غيرها من المدن التى زارها ابن عميرة و اشتغل فى بعضها فسنحت له الفرصة أن يختلط بتلك الجماعات و يخدمها بقلمه و جاهه. لأنّ النكبة التى حلّت بهؤلاء قد أفقدتهم دورهم و أملاكهم و حملتهم على ترك أوطانهم، مما

تاريخ ميورقه، ص: ۲۰

دفع ابن عميرة إلى بذل مجهود دائم من أجل إيوائهم و توطينهم فى مهاجرهم و مساعدة بعضهم فى الحصول على مناصب عمل. و من الخدمات الجليلة التى أدّاها إلى مواطنيه من أهل شرق الأندلس استصداره ظهيرا من الخليفة الموحدى الرشيد يقضى بإسكان هؤلاء فى مدينة رباط الفتح، و قد تولى بنفسه كتابة هذا الظهير فى شهر شعبان سنة ۶۳۷ ه أثناء توليه الكتابة عن الخليفة المذكور . و يجمل ابن عبد الملك هذه الخصلة البارزة من شيمه قائلا ":و كان حسن الخلق و الخلق، جميل السعى للناس فى أغراضهم حسن المشاركة لهم فى حوائجهم، متسرعا إلى بذل مجهوده فيما أمكن من قضائها بنفسه و جاهه ."

يتبين مما سبق أن استقرار العناصر المهاجرة و اللاجئة من شرق الأندلس لم يكن مقتصرا على مكان أو مدينة واحدة من بلاد العدوة، و لكنها توزعت على مجموعة من تلك المدن، و أن خدمة ابن عميرة بقلمه و جاهه لم تقتصر على جماعة دون أخرى من هؤلاء. فقد كان كثير التوصيات و الشفاعات فى حقهم، فتجده يستوصى إما بعالم شريف، أو بشاعر مدين، أو بعزيز قوم ذل، أو برجل فقد ثروته و ماله، أو بمن نبا به الوطن و أنحى عليه الزمن. و كان ممن خدمهم المؤلف هذا الرجل الميورقى الذى استجاب لرغبته فى تدوين خبر سقوط جزيرة ميورقة. ففى أى بلد من بلدان المغرب و إفريقية كانت الاستجابة لهذه الرغبة؟ هذا ما سنعود إليه فى العنصر الموالى.

خامسا: تاريخ تأليف الكتاب

لم يقتصر المؤلف على إهمال ذكر المكان الذى استجاب فيه لتأليف

تاريخ ميورقه، ص: ۲۱

الكتاب، بل سكت عن تاريخ التأليف أيضا، و لم نجد من بين الذين ترجموا له من ملأ هذا الفراغ، لذلك فلسنا نعلم بالضبط متى ألّف ابن عميرة هذا الكتاب غير أننا متأكدون من أنه قد ألّفه خلال الفترة الممتدة ما بين سنة ۶۲۷ ه تاريخ سقوط جزيرة ميورقة و سنة ۶۵۸ ه تاريخ وفاته. و كما هو معلوم فإن هذه الحقبة الممتدة على ثلاثة عقود و هى المرحلة الأخيرة من حياة المؤلف، قد قضى العقد

الأول منها (۶۲۷- ۶۳۷ ه) فی شرق الأندلس متنقلا بين قواعده، و قضی العقد الثانی (۶۳۷- ۶۴۶ ه) فی حواضر المغرب الأقصی، و أنهی العقد الأخير (۶۴۶- ۶۵۸ ه) فی مدن إفريقية.

و إذا استثنينا الفترة التی قضاها المؤلف فی شرق الأندلس علی اعتبار أنها ليست بدار غربة بالنسبة للميورقی صاحب طلب التأليف، و إذا أخذنا فی الحسبان عبارة المؤلف الواردة فی مقدمة الكتاب التی تقول ":و أتيت بالأخبار عن ذلك الأمر الغريب، و أثبته فی الزمن القريب، "فإنه من المحتمل أن يكون ابن عميرة قد وضع تأليفه فی المغرب الأقصی و تحديدا أثناء توليه قضاء الرباط و سلا.

و مما يقوّی هذا الاحتمال أن الفترة التی قضاها المؤلف بالرباط كانت مليئة بالمكاتبات الإخوانية إلی أصدقائه فی الأندلس و مراكش و سبتة، كما أشار هو نفسه إلی كثرة إنتاجه الأدبی فی هذا العهد إذ يقول من رسالة بعث بها إلی ابن مفوز ":و الأشعار فی هذا الوقت كثيرة، و الرسائل فی كل فن شهيرة، و الوقت لا يسع تقييد ما أردت أن تقفوا عليه منها، و لعل ذلك يكون و الدار صقب، و المزار كتب. "و قد بلغ من نشاطه الكتابی بالرباط أن استنفذ ما كان معه من ورق فكتب إلی صديقه ابن مفوز الشاطبی يرجوه أن يبعث إليه شيئا من هذا الورق المصنوع فی شاطبة فيقول ":و الكاغد الذی وعدتم به بلغت منه حدّ الإفلاس، و تكفف من يضن به من الناس، فأحسنوا به العون،

تاريخ ميورقه، ص: ۲۲

و أمدّوا منه بما ترون . "تلك هی بعض العناصر الفرضية المتعلقة بمكان و تاريخ تأليف تاريخ ميورقة، فأرجو أن تكون صائبة أو يتاح لغيری تمحيصها.

سادسا: أسلوب الكتاب

يقول ابن عبد الملك فی وصف تاريخ ميورقة ":إن أبا المطرّف نحا فيه منحی عماد الدين أبی عبد الله محمد بن محمد الأصبهانی فی تأليفه الفتح القسی فی الفتح القدسی . "و المعروف أن العماد الأصبهانی (۵۱۹- ۵۹۷ ه) ، كان فی تاريخ الأدب أحد أركان و أعمدة الكتابة العربية البارزين و المسؤولين فی الوقت نفسه عن قيود السجع و المحسنات البديعية التی قيدت النثر العربی بالتصنع عدة قرون، و له مؤلفات كثيرة فی الأدب و التاريخ.

و قد أرّخ العماد فی هذا الكتاب لفتوحات صلاح الدين الأيوبی ابتداء من حطّين و استرجاع بيت المقدس سنة ۵۸۳ ه/ ۱۱۸۷ م حتی سنة ۵۸۹ ه/ ۱۱۹۳ م تاريخ وفاة صلاح الدين، و الكتاب مطبوع عدة مرات أولها فی ليدن سنة ۱۸۸۸ م.

و قد التزم العماد فی الفتح القدسی أسلوب السجع و أكثر من المحسنات البديعية، و استطاع أن يروی أحداث التاريخ بهذا الأسلوب الذی تغلب عليه الزخرفة و التنميق. و ممن اعتمد علی هذا الكتاب و نقل عنه المؤرخ و الفقيه المحدث أبو شامة شهاب الدين المقدسی (۵۹۹- ۶۶۵ ه) فی كتابه الروضتين فی أخبار الدولتين أی دولة نور الدين محمود بن زنكی و دولة صلاح الدين الأيوبی. و قد علق عليه فی المقدمة قائلا ":و صنّف الإمام

تاريخ ميورقه، ص: ۲۳

العالم عماد الدين الكاتب أبو حامد الأصبهانی كتابين كلاهما مسجوع متقن بالألفاظ الفصيحة و المعانی الصحيحة، أحدهما الفتح القدسی و الثانی البرق الشامی، و هو فيهما طويل النفس فی السجع و الوصف يمل الناظر فيه، و يذهل طالب معرفة الوقائع عما سبق من القول و ينسيه، فحذفت تلك الأسجاع إلا قليلا منها استحسنتها فی مواضعها و لم تك خارجة عن الغرض المقصود من التعريف للحوادث و الوقائع . "هكذا استثقل المقدسی أسلوب العماد فی كتابه و اعتبره مملا لمن يريد معرفة أحداث التاريخ و الاطلاع عليها، فاستطاع فی مهارة بارعة أن يؤلف كتابه الروضتين الذی يتناول الفترة (۵۴۰- ۵۸۹ ه) بشكل متواز و ذلك عن طريق جمع مقتطفات حسنة الاختيار من مختلف المصادر المعاصرة فی مقدمتها مؤلفات العماد.

و قد لقى كتاب الفتح القدسى إقبالا كبيرا ليس فى الأوساط الأدبية المشرقية فحسب بل و فى نظيرتها بالأندلس و المغرب أيضا. فقد اختصره ابن الأبار بكتاب سماه "الوشى القيسى فى اختصار الفتح القسى ، "و شرحه أو اختصره فى مجلد متوسط أبو الحسن على بن محمد بن عبد الملك ابن القطان (۵۶۲- ۶۲۸ ه) والد أبى محمد ابن القطان صاحب نظم الجمان، و أسماه "تقريب الفتح القسى ." أما صاحبنا ابن عميرة الذى كان مولعا بالرد على المشارقة من معاصريه و التعقب عليهم، فإنه لم يسلك ما سلكه ابن الأبار و ابن القطان فى شرح الفتح القدسى و اختصاره و لكنه عارض هذا الكتاب على اختلاف فى الموضوع، و لعله أراد أن يلفت الأنظار إلى شخصه بهذا التأليف، سيما و أنه قد ذكر الهدف من تأليفه حين قال فى المقدمة ":و هو

تاريخ ميورقه، ص: ۲۴

لأحد الرجلين متعلم لصياغة الكلام، و متألم من صناعة الأيام، هذا يتعوذ من سوء القدر، و ذاك يتعود صوغ الفقر و القوص على الدّرر، و قد يجتمع الأمران بواحد، فيحصل من الكلام على فائد، و من العلم بما جرى على شىء زائد."

إن ابن عميرة و غيره من كتاب عصره يمثلون حلقة مهمة و مرحلة متميزة فى سلسلة تطور النثر الفنى فى الأدب الأندلسى، و ينتمون إلى مدرسة لها طابعها الخاص، هى أشبه ما تكون بمدرسة القاضى الفاضل و العماد الأصبهانى المشرقية و الموازية لها تقريبا من الناحية الزمنية. ثم إن هذه المدرسة هى التى مهدت لظهور جيل من الكتاب عرفهم القرن الثامن الهجرى فكانت قدوة مباشرة و نموذجا حيا لهم أمثال ابن الخطيب و الشريف الغرناطى و ابن شبرين و عبد المهيمن الحضرمى و غيرهم. و المعروف أن هذه المرحلة التى يمثلها ابن عميرة من مراحل النثر الأندلسى على عهد الموحدين قد اتسمت بالتكلف و الإسراف فى الصنعة، و كانت المرحلة التى سبقتها على عهد ملوك الطوائف و المرابطين قد عرفت بصناعتها الدقيقة من سجع و جناس و طباق و غيرها من محسنات البديع و ألوان الزخرفة على نحو ما هو موجود فى ذخيرة ابن بسام و قلائد و مطمح ابن خاقان.

و لا- يختلف أسلوب ابن عميرة فى كتاب تاريخ ميورقة عن أسلوبه فى رسائله الديوانية و الإخوانية الضخمة التى اشتهر بها، و أن خصائص نثره هى الخصائص ذاتها التى عرفت فى النثر الفنى منذ القرن الرابع الهجرى و ظلت تتطور و تتعقد بعد ذلك، و هى خصائص تقوم على السجع بألوانه، و الجناس بمختلف أشكاله، و ضروب المقابلة و الطباق مع متانة العبارة، و قوة البيان، و دقة الوصف. و من خصائص نثره أيضا الإكثار من التلميحات و الإشارات و التوريات و الاقتباسات و استعمال مختلف المصطلحات و الألفاظ الفقهية و المنطقية و غيرها من الألفاظ العلمية التى تتردد فى كلامه. و كذلك توظيف

تاريخ ميورقه، ص: ۲۵

الأمثال العربية و الاستشهاد بها. و قد وضع ابن عميرة نظرية خاصة به فى السجع أشار إليها فى كتابه التنبيهات بقوله ":و قصر الأسجاع محتقر مخل، و طولها المتفاوت مرذول ممل، فتكون وسطا بين الإفراط و التفريط، و المساواة بينهما عدل لكن لا كل مساواة بحيث تخرج إلى الأوزان الشعرية ."

و على العموم فإن أثر ثقافة ابن عميرة الواسعة و المتنوعة فى أسلوبه و كتابته الأدبية يبدو واضحا و المسحة العلمية عليه تظهر جلية، و هذا المعنى هو الذى نبّه إليه أحد المعجبين به و هو الغبرينى حين قال ":و الناس يتداولون كتبه و يستحسنونه و يؤثرونه على كتب غيره و يفضلونه، و بالواجب علم اللّه أن يكون كذلك لسلوكه حسن منهجه الذى هو فيه أول سالك، و ما رأيت من الكتّاب ما أعجبنى مثل كتب الفقيه أبى المطرف إلا كتب أبى جعفر بن عطية، و الكتّاب كثير، و كتب هذين الرجلين عندى مقدم على غيرهما، و الذى أوجب تقدم الفقيه أبى المطرّف فى كتابته إنما هو أن الرجل من أهل العلم فكتابته علمية أدبية، و كتابة غيره مقتصرة على نوع من الأدب، و هذا المعنى هو الذى تميز به عمن عداه، و سبق به من سواه ."

سابعا: محتوى الكتاب

۱. میورقة قبل السقوط:

إن الکتاب لا یقدم لنا تاریخا شاملا و مفصلا لجزیرة میورقة خلال عهودها الإسلامیة المتعاقبة حسبما یوحی به العنوان، و لکنه یؤرخ للعهد الأخیر منها (۶۰۶- ۶۲۸ ه/ ۱۲۰۹- ۱۲۳۰ م) و یعالج مرحلة السقوط النهائی

تاریخ میورقه، ص: ۲۶

لها علی ید الإسبان مع الترکیز علی الأسباب و العوامل و أطوار السقوط، لذلک نجد فی مصادر ترجمة المؤلف العبارة التالیة ":و له تألیف فی کائنة میورقة و تغلب الروم علیها، "و الکائنة هی الحادثة، و هی عبارة بلیغة تعبر عن المحتوی الحقیقی للکتاب، و قبل تحلیل أحداث السقوط کما رواها المؤلف یجدر بنا أن نقدّم عرضا موجزا لتاریخ الجزیرة قبل أن تؤول إلی ما آلت إلیه.

تقع میورقة کبری الجزائر الشرقیة (جزر البلیار) فی البحر الزقاقی (المتوسط)، تسامتها من الجنوب مدینة بجایة فی المغرب الأوسط، و من الشمال مدینة برشلونة فی شرق الأندلس، و من الشرق إحدی جزیرتیها و هی منورقة، و غربیها جزیرة یابسة، و هی أم هاتین الجزیرتین و هما بنتاها، بینها و بین الأولی أربعون میلا، و بینها و بین الثانیة سبعون میلا، و طولها من الغرب إلی الشرق سبعون میلا، و عرضها من القبلة (الجنوب) إلی الجوف (الشمال) خمسون میلا . و تبلغ مساحتها الإجمالیة حوالی ۳۶۴۰ کم (۲)، و عاصمتها مدینة میورقة.

قام المسلمون بأول محاولة لغزو جزیرة میورقة سنة ۹۸ ه بقیادة عبد الله بن موسی بن نصیر، و لم یستطیعوا بسط نفوذهم علیها فی محاولات أخری علی عهد الدولة الأمویة حتی سنة ۲۹۰ ه/ ۹۰۳ م تاریخ فتح الجزیرة بشکل نهائی و مستقر علی ید عصام الخولانی زمن الأمیر الأموی عبد الله بن محمد (۲۷۵- ۳۰۰ ه). و فی ذلک یقول ابن خلدون ":کان فتح میورقة سنة ۲۹۰ ه علی ید عصام الخولانی، و ذلک أنه خرج حاجا فی سفینة اتخذها لنفسه، فعصفت بهم الریح فأرسوا بجزیرة میورقة، و طال مقامهم هنالک، و اختبروا من أحوالهم ما أطمعهم فی فتحها، فلما رجع بعد فرضه أخبر الأمیر

تاریخ میورقه، ص: ۲۷

بما رأی فیها، و کان من أهل الغناء عنده فی مثلها، فبعث معه القطائع فی البحر، و نفر الناس معه إلی الجهاد فحاصرها أیاما، و فتحوها حصنا حصنا إلی أن کمل فتحها، و کتب عصام بالفتح إلی الأمیر عبد الله فکتب له بولایتها فولیها عشر سنین . "ثم ولیها بعد وفاته ابنه عبد الله حتی سنة ۳۱۸ ه، و خلفه أحمد بن محمد بن إلیاس، ثم تعاقب علیها موالی الأمویین حتی سنة ۴۰۳ ه.

و فی سنة ۴۰۷ ه استبد بشؤونها مجاهد العامری أمیر دانیة و بکل الجزائر الشرقیة، ثم خلفه علیها ابن أخیه عبد الله العامری سنة ۴۱۳ ه، و فی سنة ۴۲۸ ه آل أمرها إلی الأغلب مولی مجاهد العامری و ظل علی حکمها حتی سنة ۴۵۸ ه، ثم خلفه علیها صهره سلیمان بن مشکیان. و فی سنة ۴۶۳ ه تولی شؤونها عبد الله المرتضی أغلب، و فی سنة ۴۶۸ ه استقل بحکمها و بکل جزر البلیار بعد سقوط مملکة دانیة فی ید المقتدر بن هود صاحب سرقسطة، و استمر علی ولایتها حتی سنة ۴۶۸ ه تاریخ وفاته، فتولی إمارتها الأمیر مبشر ابن سلیمان ناصر الدولة و ضبط شؤونها بحزم و کفایة إلی غایة سنة ۵۰۹ ه .

و فی هذا التاریخ تعرضت میورقة للغزو النصرانی الذی اتحدت فیه جمهوریتا بیزة و جنوة و إمارة برشلونة و هو أول غزو نصرانی لها منذ فتحها .

و لکن سرعان ما استعادها المرابطون فی أواخر السنة نفسها و عینوا علیها والیا جدیدا من قبلهم، فأضحت بذلک الجزائر الشرقیة جزءا من الدولة المرابطیة الکبری و دخلت فی عهد جدید من تاریخها، سیما بعد تعیین محمد

تاریخ میورقه، ص: ۲۸

ابن غانیة المسوفی والیا علیها سنة ۵۲۰ ه من قبل الأمیر علی بن یوسف.

و استطال حکمه لتلک الجزائر زهاء ثلاثین عاما، أی إلی ما بعد سقوط المرابطین و زوال حکمهم نهائیا فی المغرب و الأندلس سنة

۵۴۳ ه. فعمل على توطيد سلطانه هناك و استقل بشؤونها و جعل منها ملجأ و مثوى للوافدين و الفارين من فلول المرابطين، كما اتخذ من جزر البليار حصنا منيعا لمواجهة الموحدين و الأساطيل الصليبية. و بعد وفاته سنة ۵۵۰ ه خلفه على ولاية ميورقة و جزر البليار ابنه إسحاق بن محمد حتى سنة ۵۸۰ ه، ثم وليها بعده ابنه الأمير على بن إسحاق حتى سنة ۶۰۰ ه تاريخ استيلاء الموحدين عليها.

و لكن هذا الأمير كان منشغلا خلال هذه الفترة بصراعه الدامى مع الموحدين فى إفريقية، فأناب عنه فى حكم ميورقة عمه الزبير ما بين ۵۸۰- ۵۸۴ ه، ثم أخاه عبد الله ما بين ۵۸۴- ۶۰۰ ه .

و كان الفتح الموحدى لجزيرة ميورقة ضربة شديدة لبنى غانية، قضت نهائيا على سلطانهم فى الجزائر الشرقية، و كان لهذا الفتح وقع عميق أيضا لدى الممالك النصرانية القريبة، سيما مملكة أراجون فى شرق الأندلس، و هذا ما تشير إليه رسالة الفتح التى بعثها الخليفة الناصر من إنشاء كاتبه ابن عياش حين تقول ":و لأخذ ميورقة على صاحب أراغون و برشلونة أشدّ من رشق النبل، و أهول من وقع السّيف، و أوحش من القطع بحلول الممات ."

و كان أول الولاة الموحدين على ميورقة هو أبو محمد عبد الله بن طاع الله الكومى، ثم وليها السيد أبو زيد بن أبى يعقوب يوسف عم الخليفة الناصر،

تاريخ ميورقه، ص: ۲۹

فالسيد أبو عبد الله بن أبى حفص عمر بن عبد المؤمن . و فى سنة ۶۰۶ ه وليها رابع و آخر الولاة الموحدين فهو الذى أخذها منه النصارى و به استهل ابن عميرة الحديث فى الكتاب.

۲. والى ميورقة أبى يحيى التنملّى:

فبعد الحمدلة و التصلية و ذكر الهدف من وضع الكتاب و الباعث على تأليفه، شرع المؤلف فى الكلام عن والى ميورقة و جزر البليار، مشيرا إلى مكانته فى الدولة الموحدية و نهوضه بأعبائها و تأخيره عن الوزارة، ثم تعيينه واليا على بلنسية فترة يسيرة، انتقل بعدها إلى ولاية ميورقة سنة ۶۰۶ ه حيث استمرت ولايته أكثر من عشرين سنة. تلك هى إشارة المؤلف باقتضاب عن حياة هذا الوالى قبل توليه ميورقة، و هى تحتاج إلى مزيد من التوضيح اعتمادا على مصادر أخرى.

إن الاسم الكامل لهذا الوالى هو أبو يحيى محمد بن أبى الحسن على ابن أبى عمران موسى التنملى، و كانت تربطه قرابة ببنى عبد المؤمن، لأن الخليفة الموحدى الأول عبد المؤمن بن على أيام كان بتينملّل رفقة المهدى ابن تومرت تزوج امرأة حرّة اسمها زينب و هى بنت أبى عمران موسى الضرير جد الوالى المذكور، و كان موسى الضرير هذا من شيوخ تينملّل و أعيانهم من ضيعة يقال لها أنسا. و كان عبد المؤمن يستخلفه على مراكش إذا خرج عنها، و كانت مصاهرته إياه برأى ابن تومرت. و قد خلف موسى الضرير من الولد الذكور ثلاثة هم إبراهيم و محمد و على والد والى ميورقة، و بنات منهن زينب المذكورة التى أنجبت للخليفة عبد المؤمن ولدين و هما أبو يعقوب يوسف الخليفة من بعده و أخوه أبو حفص عمر و كانا من نبهاء أولاده و نجبائهم

تاريخ ميورقه، ص: ۳۰

و ذوى الرأى و الغناء منهم .

و فى عهد الخليفة الموحدى الرابع أبى عبد اللّه محمد الناصر (۵۹۵- ۶۱۰ ه) تولى أبو يحيى التنملى الوزارة بعد كل من أبى زيد عبد الرحمن بن يوجان، و أخى الخليفة الناصر إبراهيم بن يعقوب المنصور. و فى ذلك يقول صاحب المعجب ":ثم عزل أبو عبد الله الناصر أخاه إبراهيم و ولى بعده أبا عبد الله محمد بن على بن أبى عمران الضرير جد يوسف بن عبد المؤمن لأمه، و كناه أبا يحيى. فكان هذا الوزير من أحسن الوزراء سيرة و سريرة، و كان يحضه على فعل الخير بجهده، و نشر العدل حسب طاقته، و الإحسان إلى الرعية و الأجناد، رأى الناس فى أيام وزارته من الخصب وسعة الأرزاق و كثرة العطاء مثل الذى رأوا فى أيام أبى يعقوب يوسف بن

عبد المؤمن أو قريبا منه.

ثم عزله و ولى بعده أبا سعيد عثمان بن عبد الله بن إبراهيم بن جامع ."

يستفاد من نص المراكشى الذى يتحدث فيه عن أبى يحيى التنملى حديث العارف به أن كنيته الحقيقية كانت أبا عبد الله، و هو المشهور لمن كان اسمه محمد، و لكن الخليفة الناصر هو الذى أطلق عليه كنية أبى يحيى. كما شهد له المراكشى بحسن السيرة و العدل بين الناس و غيرها من الخلال التى يؤكدها ابن عميرة حين يتناول حكمه لجزيرة ميورقة. و لكن صاحب النص بخل علينا بذكر تاريخ تولية أبى يحيى منصب الوزارة و عزله عنه.

و هو التاريخ الذى أشار إليه ابن عذارى بقوله ":و فى سنة ۶۰۵ ه قدّم الناصر بعض الولاة على أعماله و أخر آخرين عن أشغاله، فأخّر أبا يحيى بن أبى الحسن بن أبى عمران عن الوزارة و ألزمه فى داره، و قدّم للوزارة أبا سعيد

تاريخ ميورقه، ص: ۳۱

ابن أبى إسحاق بن جامع، و بعد أيام من ترتيب ما رتب لخدمته و وزرائه جدّد نظره فى أمور البلاد و ما يجب لها من التفقد بالصلاح و السداد ... فأنهض أبا يحيى إلى بلنسية وثقف أشغالها و أصلح أحوالها ."

كان الخليفة الناصر كثير التغيير و التبديل للولاة و رجال الدولة، عاكفا على معالجة الشؤون الإدارية و النظر فى أعمال الولايات، و منها هذه الحركة التى أجراها سنة ۶۰۵ ه و مسّت أبا يحيى التنملى حين أخّره عن الوزارة و ألزمه أن يبقى فى داره، و لم تخبرنا المصادر عن سبب ذلك التأخير. و لكن بعد مدة يسيرة و فى نفس السنة عيّن الخليفة الناصر أبا يحيى التنملى واليا على بلنسية، ثم نقله فى السنة الموالية إلى ولاية ميورقة.

بقيت الإشارة إلى صفة ذميمة تتعلق بشخص الوالى أبى يحيى التنملى و هى صفة البخل، فعلى الرغم مما اشتهر به من عدل و حسن السيرة أيام تقلده منصب الوزارة، و كذلك خلال توليه جزر البليار مدة طويلة، إلا أنه لم يستطع التخلص من هذه الصفة و مفارقة هذه الشهوة التى لازمته حتى وفاته. و هذا ما أجمله ابن سعيد فى العبارة التالية ":و كان بخيلا غير حسن التدبير سامحه الله . "و ذكرها ابن عميرة فى أكثر من موضع من هذا الكتاب، فقد نعته بأنه كان منهوما لا يشبع من المال، و انه كان كثير الازدياد من الدنيا و حطامها و الانقياد من الأطماع فى خطامها. و أن هذا المال الجمّ الذى جمعه لم يخرجه فى وجه من وجوه البرّ و الإثم، مصداق ذلك الخطة التى عرضت عليه أثناء الحصار للدفاع عن المدينة فرفضها بدافع البخل و خشية الإنفاق.

تاريخ ميورقه، ص: ۳۲

۳. بوادر العدوان الصليبى على ميورقة:

و مما يؤسف له أن ابن عميرة قد قفز فى حديثه عن جزيرة ميورقة من سنة ۶۰۶ ه تاريخ تولية أبى يحيى التنملى عليها إلى سنة ۶۲۳ ه تاريخ بداية التحرشات النصرانية على جزر البليار، فحرمنا بذلك من توضيح الأحداث الداخلية و تطوراتها التى عرفتها ميورقة خلال هذه الفترة، و اكتفى بالقول إن الجزيرة قد نعمت بالعدل فى عهد أبى يحيى. و إذا كان المؤلف قد أهمل الكلام عن الفترة المشار إليها لأن هدفه من الكتاب كان التأريخ لسقوط الجزيرة، فإننا نضيف عاملا آخر و هو بقاء ميورقة و جزر البليار بمعزل عن مملكة قطلونية و أرغون بمأمن من عدوان أساطيلها خلال تلك الفترة التى كانت تعيش فيها هذه المملكة حربا أهلية بين المتنافسين على العرش بعد مقتل بيدرو الثانى سنة ۶۱۰ ه/ ۱۲۱۳ م، فنعمت ميورقة بالأمن و لم تتعرض لأى خطر خارجى.

إن الحرب الأهلية التى نشبت فى مملكة قطلونية و أرغون بعد مقتل ملكها بيدرو الثانى كانت بين ولده الوحيد خايمى الأول أو جاقمه كما يسميه ابن عميرة و بين عمّيه فرناندو و سانشو المطالبين بالعرش. كما أعلن الكثير من الأشراف استقلالهم و أخذوا يحاربون بعضهم بعضا و عمت الفوضى، و استطاع أنصار الملك خايمى أن ينتزعوه من وصيّه أستاذ الدّاوية، و كان قد بلغ التاسعة من عمره، و

احتدم الصراع عندئذ بين حزب خايمى و بين خصومه.

و بعد أعوام من النزاع و الحروب استطاع الملك خايمى أن ينتصر على خصومه و ينتزع عرشه نهائيا سنة ۶۲۴ ه/ ۱۲۲۷ م . و أخذ الملك الشاب

تاريخ ميورقه، ص: ۳۳

منذ ذلك الوقت يتطلع إلى الاستيلاء على جزر البليار، و اقتطاع ما يمكن اقتطاعه من الأراضى الإسلامية فى شرق الأندلس.

و فى صائفة سنة ۶۲۳ ه/ ۱۲۲۶ م ظهرت بوادر العدوان الصليبى على جزر البليار الموحدية، و ذلك أن والى ميورقة أبا يحيى التنملى لما احتاج للأخشاب لبناء سفن جديدة تحسبا للأخطار المحتملة، أرسل طريدة بحرية لجلب تلك الأخشاب من جزيرة يابسة بحراسة قطعة حربية، فعلم بعض التجار النصارى بالخبر و أرسلوا إلى أمير طرطوشة يعلمونه بذلك، فقام على الفور بإرسال حملة بحرية تمكنت من أسر الطريدة البحرية بحمولتها من الخشب. و نجا الغراب (القطعة الحربية) من قبضة النصارى و عاد إلى ميورقة فأخبر الوالى بما حدث، فثارت ثائرته و قام بردّ فعل سريع حيث جهّز حملة بحرية إلى شواطئ مملكة قطلونية و أرغون، و كانت نتيجة هذه الحملة الخاطفة الاستيلاء على بعض الأجفان الرومية و أسر رجل نصرانى مشهور بالثروة و اليسار.

و فى أواخر ذى الحجة من السنة المذكورة وصلت الأنباء إلى والى ميورقة أن مسطحا من برشلونة ظهر على جزيرة يابسة، و أن مركبا من طرطوشة انضم إليه، فجهّز حملة بحرية و اسند قيادتها لأحد بنيه و أمره بالتوجه لردّ العدو. و خرج أسطول ميورقة حتى نزل مرسى يابسة فوجد مركبا لأهل جنوة فأخذه و سار حتى أشرف على مسطح برشلونة فقاتله و ظهر عليه المسلمون و لكنه اهتبل فرصة انشغالهم عنه فأفلت من قبضتهم، فمالوا إلى مركب طرطوشة و استولوا على ما فيه، و كان فيه أربعة من أثرياء جنوة و من أهل الثروة و اليسار فيها. و عاد قائد الأسطول إلى ميورقة بعد هذه

تاريخ ميورقه، ص: ۳۴

الحملة البحرية الناجحة و هو يظن أنه غالب الملوك، و لم يكن يدرى أنه بعمله هذا قد فتح جبهة خطيرة مع النصارى.

۴. الاستعداد للحرب:

يقول المؤلف إن نصارى مملكة قطلونية و أرغون قد ثارت ثائرتهم بعد هذه الاشتباكات البحرية الأولى مع المسلمين، فأخذوا يحرّضون ملكهم خايمى الأول على غزو جزر البليار، و يغيرون صدره على الإسلام و المسلمين، و يذكّرونه بما فعله بهم ابن غانية المرابطى. و لما رأى حماسهم الشديد، أراد أن يقيم الحجة على والى ميورقة فبعث إليه بأحد رجاله يطلب منه ردّ المركب و المال و الأسارى و يعرض عليه الصلح و الهدنة. و لكن الوالى ركب رأسه و استخف بما عرضه عليه الملك خايمى و تطاول عليه و عامله بكل صلف و احتقار. و عاد الرسول إلى ملكه فأخبره بما سمع و رأى و نقل إليه تهديدات الوالى الموحدى و تحدّيه للنصارى.

إن الملك خايمى الأول الذى كان قد نجح آنذاك فى إخماد الحرب الأهلية التى عصفت بمملكته طيلة خمسة عشر عاما، قد وجد الظروف مواتية لخوض معركته الحاسمة ضد ميورقة، فالوالى المسلم قد رفض عروضه، و إن هذه الحرب سوف تشغل نبلاء مملكته عن المنازعات الداخلية، و ترضى فى الوقت نفسه تجار قطلونية الذين كانوا يتطلعون دوما إلى توسيع نطاق تجارتهم و ضمان سلامة سفنهم المهددة من قبل أساطيل جزر البليار، لذلك عقد مجلسه النيابى فى برشلونة فى شهر صفر ۶۲۶ ه/ ۱۲۲۹ م، و اقترح عليه القيام بحملة عسكرية ضد ميورقة، فوافق أعضاء المجلس بالإجماع على هذا الاقتراح و تحمسوا له.

و بعد حصوله على موافقة المجلس النيابى (الكورتيس) شرع الملك

تاريخ ميورقه، ص: ۳۵

خايمى فى إعداد العدة، و يقول المؤلف بهذا الصدد أنه أمر جنوده بإحضار الدروع و الترسة و الجياد و الحراب العظيمة النصل و

غيرهـا من لوازم الحرب و عتادهـا، كما أمر أهل سواحل قطلونيـة بإنشاء السـفن اللازمـة لـذلك. فجمع من الفرسان ألفا و خمس مائة فارس، و من المشاة عشـرين ألف راجل، و من رجال البحرية و عسـكر الماء ستة عشر ألفا. و أمر أن تحشد هذه القوات فى مرفأ مدينة سالو القريب من طركونة على ساحل قطلونية ابتداء من شهر جمادى الأولى ۶۲۶ ه/ ۱۲۲۹ م استعدادا للإبحار باتجاه جزر البليار.

هذا و لم تكن هذه الاستعدادات على الجبهة النصرانية فى مملكة قطلونية و أرغون بخافية على والى الجزائر الشرقية أبى يحيى التنملى، فقـد كان على علم بذلك، و قام بدوره بالاسـتعداد لمواجهة هذا العدوان المرتقب، و شـرع فى شـهر ربيع الأول سـنة ۶۲۶ ه فى حشد قواته العسـكرية، فجمع أكثر من ألفى فارس و من المشاة حوالى ثمانية عشر ألفا. و استدعى أهل البادية و أمرهم بنقل الأطعمة سريعا، و ضبط المراسى بالرجال، و بث العيون فى كل مكان تحسبا لأى طارئ.

۵. تصدع الجبهة الداخلية الميورقية عشية العدوان الصليبى:

بعـد هذه الاسـتعدادات اللازمة للحرب و حشد القوات و دعم الأساطيل التى قام بها الطرفان الإسـلامى و المسـيحى، و فى وقت كانت فيه الجبهة الداخلية فى ميورقة أشد ما تكون إلى التماسك و توحيد الكلمة لمواجهة العدو، فإن العكس هو الذى حصل، إذ انقسـمت هـذه الجبهـة و سادهـا الخلاـف و ظهر طرفـان متنازعـان متخاصـمان يتعلق الأـمر بـالوالى أبى يحيى التنملى و قومه من جهـة و أجنـاد الأنـدلس من جهـة أخرى. تلك هى صورة الوضع الداخلى فى ميورقة عشـية العدوان الصـليبى عليها كما يقدمه لنا ابن عميرة و يجعله من أهم العوامل و أبرز الأسباب التى عجلت بسقوط الجزيرة.

تاريخ ميورقه، ص: ۳۶

يـذكر المؤلف أن أكثر مـدة الوالى أبى يحيى التنملى أثنـاء حكمه لميورقـة و جزر البليـار كانت نافعـة و أمور رعيته مرعيـة و سياسـته سديـدة مرضـية، إلى أن خلع قومه من الأندلس فأوى إليه طرداء منهم آواهم و تأثر لحالهم، فكان هؤلاء بدأة الشـر الذى باض و فرّخ. فقـد أشـاروا عليه بالاحتراس و حملوه على إساءة الظن بالناس و طلبوا منه أن يمكّنهم من الجماعـة الأندلسـية من أهل ميورقـة لينتقموا منهم ثأرا لما حل بهم فى الأندلس من طرد و خلع. و ظلوا يغرونه بهم ظلما، و يغيرون صدره عليهم، و يدفعونه إلى أعمال الجور حتى أفسـدوا أمره، فسـاءت الأحوال، و أطلت الفتنـة برأسـها، و انضم كل ذى حى إلى حيه، و أصـبح كل طرف يتوجس خيفـة من الطرف الآـخر، إلى أن وصـلت الأـمور إلى حـدّ التآـمر و التصـفية الجسـديـة كما سـنبينه فى حينه، بعـد أن نوضـح موضوع خلع قوم الوالى من الأندلس الذى أشار إليه المؤلف إشارة عابرة.

من المعلوم أنه فى منتصف شـهر صـفر سنة ۶۰۹ ه/ جويلية ۱۲۱۲ م قـد حلت بالمسـلمين فى الأنـدلس نكبة مروّعة و هزيمة كبيرة فى معركـة العقاب على يـد قوات الممالك الإسـبانية المسـيحية و حلفائها من أهل الصـليب الـذين حشـدتهم البابويـة. و كانت خسائرهم فادحـة جـدا، و هلك معظم الجيش الموحدى، و لم ينج الخليفة الموحدى الناصـر مع عدد قليل من حرسه إلا بأعجوبة. و خلفت هذه الهزيمـة فى النفوس آثـارا لا تمحى، و اسـتقر فى معظمها شـعور بأن الأمر قـد ضاع و لا سبيل إلى تلافيه. و فى أيام المستنصـر خامس الخلفاء الموحدين (۶۱۰- ۶۲۰ ه) تلاشت بقية الأمل فى الموحدين، فقد نجم لهم بنو مرين و بدأوا معهم صراع المصير فى المغرب، و كان عليهم أن يتجرعوا نفس الكأس التى جرّعوها للمرابطين من قبل .

تاريخ ميورقه، ص: ۳۷

و لم يعودوا بيتا متحدا تجمعه رابطة واحدة و لكنهم تحولوا إلى أمراء و أشياخ استأثر كل منهم بقاعدة من قواعد الملك الموحدى أو بوظيفـة من وظائفه الرئيسـية، و ظهرت آفة الصـراع و التطاحن على عرش الخلافة الموحدية، و أصـبح كل واحد منهم يمنى نفسه به و يتمنى فى ذات الوقت فساد الأمر على من تولاه. فبعـد الخليفة المستنصـر قام بالأمر أبو محمد عبد الواحد و لكن سـرعان ما خرج عليه الخليفـة العادل و بويع بالخلافة، ثم قام أبو العلى إدريس المأمون بالأندلس و خرج على أخيه العادل أيضا و كان ذلك ما بين (۶۲۰-

۶۲۴ ه).

إن انتشار الخلافة الموحدية و تصدع أركانها كان له أبلغ الأثر فى العدوة الأندلسية التى أصبحت مكشوفة للعدو و لا يدفع عنها أحد. و أخذ ذلك الصراع الطويل بين الإسلام و النصرانية حول مصير الأندلس يتحدد بصورة حاسمة، إذ سار التقدم النصرانى فى ذلك الوقت ابتداء من العقد الثالث من القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى فى ثلاث مناطق:

الأولى وجهتها غرب الأندلس و يسيطر على مصيرها ملك ليون ألفونسو التاسع، و الثانية وجهتها وسط الأندلس و يسيطر على مصيرها ملك قشتالة فرناندو الثالث بينما اختص ملك قطلونية و أراجون بمصير الوجهة الثالثة و هى شرق الأندلس. و رغم ما كان يسود هذه الممالك من خلاف و ما يقع بينها من حروب إلا أنها كانت تنبذ ذلك و تقف صفا واحدا إذا تعلق الأمر بحرب مع المسلمين.

و فى تلك الآونة التى انشغل فيها البلاط الموحدى بالمغرب بخلافاته و حروبه الأهلية، و تخاذل السادة و الحكام الموحدون عن تأدية واجبهم الأول فى شبه الجزيرة الأندلسية التى سرى إليها دبيب التفكك، و تطلعت اسبانيا النصرانية إلى السيطرة على ذلك التراث المنهار، اهتزت الأندلس لهذه

تاريخ ميورقه، ص: ۳۸

الأحداث و التطورات الخطيرة و اضطرمت فيها سلسلة جديدة من الثورات القومية على غرار ما حدث فى أواخر العهد المرابطى، و رغم ما كان يسود هذه الثورات و الحركات من تنافس و خصام إلا أنها كانت تجمع بينها غاية تحرير الأندلس من الموحدين و التصدى للعدوان الصليبى.

و كان أهل شرق الأندلس، الذين اشتهروا بنزعتهم الانفصالية فى تاريخ الأندلس منذ الخلافة الأموية، أول من جاهر بالخروج على الموحدين و الثورة ضدهم. فظهر بينهم زعيم من بيت عريق فى الزعامة و الرياسة و هو الأمير أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الجذامى سليل بنى هود ملوك سرقسطة أيام الطوائف الأولى، و كان ظهوره فى مدينة مرسية حيث اتخذها قاعدة لإمارته التى استمرت من سنة ۶۲۵ ه إلى سنة ۶۳۵ ه. و قد رأى فيه الأندلسيون يومئذ الرجل الذى كانوا ينتظرونه لجمع كلمتهم و الدفاع عن بيضتهم و مصداق ذلك شعر من مدحه من الشعراء كابن مرج الكحل و غيره.

و جاء عنه فى أعمال الأعلام أنه "كان شجاعا، كريما حييّا وفيا، متوكّلا عليه، سليم الصدر، قليل المبالاة بالأمور، محدودا لم ينصر به جيش، و لا وفق له رأى لغلبة الخفة عليه و استعجاله الحركات و نشاطه إلى لقاء الأعداء من غير كمال و استعداد . "و لعل استخفاف ابن هود بالأمور و استعجاله فى لقاء العدو هو الذى دفع ابن سعيد إلى الحكم عليه بأنه "كان عاميا جاهلا، مشؤوما على الأندلس، كأنما كان عقوبة لأهلها، فيه زويت محاسنها و طوى بساطها، و نثر سلكها ."

و يضيف ابن الخطيب أن ابن هود ملك مرسية و قرطبة و إشبيلية

تاريخ ميورقه، ص: ۳۹

و غرناطة و مالقة و المرية و غيرها، بحال اجتماع و افتراق، و انتزاء من أهلها عليه و شقاق. و تلقب بالألقاب السلطانية كأمير المسلمين و المتوكل على الله و معز الدين، و دعا للخلافة العباسية استرضاء للعامة، فبعث إليه الخليفة العباسى بالخلع و المراسيم و سماه مجاهد الدين .

و كان ابن هود حين شعر بقوة جمعه و أتباعه فى أول أمره زحف على مدينة مرسية و طرد أميرها الموحدى الذى كان يدّعيها لنفسه و هو السيد أبو العباس بن أبى عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن و ذلك فى شهر رجب سنة ۶۲۵ ه/ ۱۲۲۸ م. و على إثر ذلك خرج إلى لقائه والى بلنسية السيد أبو زيد عبد الرحمن بن أبى عبد الله محمد بن أبى حفص بن عبد المؤمن فهزمه ابن هود و استولى على محلته و لكنه لم يحاول دخول بلنسية و عاد على مرسية. و لما ازدادت قوته و كثر أتباعه جدّ فى محاربة الموحدين و أعلن أنه سوف يحرر الأندلس من سلطانهم.

هـذا و قد أجمل ابن عذارى محاربة ابن هود للموحدين فى الأندلس و مطاردته إياهم فى النص التالى ":و أول من طاع لابن هود من بلاد الأنـدلس أهل مرسيـة فخرج إليه المأمون فى سـنة ۶۲۵ ه كما تقـدم فقابله و قاتله فوقعت الهزيمـة على ابن هود، و بعـد انصـراف المأمون عنه إلى إشبيليـة قام بدعوته ابن الرّميمى بمدينة المريـة ثم طاعت له غرناطة و مالقة فضـعف المأمون عن مصادمته لما كان قد أهمّه من أمر الموحدين بمراكش. فلما اسـتقر المأمون بمراكش و اشـتغل فيها بما اشـتغل، اتقد نار الفتنة بالأندلس و اشـتعل، و طاعت لابن هود أكثر بلادها و رؤسائها و أنجادها و خلعوا طاعـة الموحـدين عنها، و قتلوهم فى كل بلد منه، و أجلوهم و استأصـلوهم إلا من ستره الله منهم

تاريخ ميورقه، ص: ۴۰

و أخفاه فى ذلك الوقت عنهم. "هكذا كانت نهاية الموحدين فى الأندلس على يد ابن هود و أمثاله من ثوار الأندلس من جهة و على يد النصارى من جهة أخرى.

و قـد دفعت هـذه الأحـداث أغلب الموحـدين إلى ترك الأنـدلس و الهجرة إلى العدوة المغربية، بينما فضل البعض منهم الارتداد عن دينه و الارتمـاء فى أحضان النصارى كما فعل السـيد عبـد الله البيّاسـى صاحب جيّان، و السـيد أبو زيـد صاحب بلنسـية الـذى لجأ إلى ملـك أرغون. فى حين لجـأت مجموعـة منهم إلى جزيرة ميورقـة حيث آواها الوالى أبو يحيى التنملى و قرّبها، فكانت السـبب فى إثار الفتنـة بين أهـل الجزيرة و انقسـام جبهتهـا الداخليـة غـداة العـدوان النصـرانى عليهـا. هـذا ما تقوله روايـة ابن عميرة و يؤكـده نص ابن المسـتوفى الـذى يقول ":لمـا اسـتولى ابن هود على الأنـدلس، خـاف صاحب ميورقـة أبو يحيى على ميورقـة من أجنادها، و كانوا فى الأنـدلس فقتـل منهم خلقا و هرب من هرب إلى الجبال و الحصون و خلت المدينـة من كثير من أهلها، فنزل عليها البرشـنونى (خايمى الأول) و حاصرها فى شوال ۶۲۶ ه ."

و لما اشتد الخلاف بين طائفة الوالى و بين أجناد ميورقة الأندلسيين و خشى كل طرف على نفسه من غدر الطرف الآخر، اجتمع هؤلاء الأجناد إلى قائـدهم، الـذى بخل علينا ابن عميرة بـذكر اسـمه، و راحوا يحذرونه من الغوائل و يخوفونه أشد تخويف و يحرّضونه على التآمر ضـد الـوالى و التخلص منه. و رغم تردد القائـد و رفض الفكرة فى أول الأمر إلاـ أن الأجنـاد أقنعـوه و أتوه على الأمر بـدلائل فاستجاب لهم، و اتفقوا على المؤامرة و على أن يكون قتل الوالى فى صلاة التراويح أى فى شهر رمضان ۶۲۶ ه/ أوت ۱۲۲۹ م.

تاريخ ميورقه، ص: ۴۱

و لكن الوالى اكتشف خيوط المؤامرة فخشـى القائـد على نفسه وفرّ فى عـدد قليل من أصـحابه إلى الباديـة مسـتجيرا، و لم يتمكن من الوصول إليهـا إذ أدركه قوم الوالى قريبا منها فقتلوه مع ذلك العـدد القليل من أصـحابه. ثم أمر أبو يحيى التنملى بالقبض على جماعة من أجناد ميورقة ممن اتهموا بالتآمر عليه فأودعوا السجن، ثم لم يلبثوا أن سلبت منهم الأموال و قطعت رؤوسهم.

و أثناء ذلك كانت أخبار العـدو تزيد، فرأى الوالى أن يسـتطلع تلك الأخبار، فجهّز قطعة حربية و أرسـلها للقيام بتلك المهمة، و لكن الرياح عصـفت عليها و رمت بها إلى بنشـكلّة إحـدى ثغور شـرق الأنـدلس، حيث وقعت فى أيـدى النصارى فأضـرموا فيها النار. و فى أثرها أرسل الوالى قطعـة ثانيـة، و خرجت تسـتوضح الأنباء حتى انتهت إلى وادى كونـة قرب ثغر بنشـكلّة فأسـرت من النصارى تسـعة رهط و اقتادتهم إلى ميورقة فسـئلوا عن استعدادات العدو فقالوا إنه قد تكامل للنهوض و إنّه على و شك الإبحار إلى الجزيرة. ثم عزز الوالى بقطعـة ثالثـة لاسـتجلاء الخبر، و لكن الريـح رمت بهـا إلى جزيرة سـردانية فأغارت فى سـهلها و أسـرت خمسـة من أهلها. و لما اسـتنطقهم الوالى أخبره بعضـهم أن أهل أرغون قد أجّلوا غزوهم لميورقة إلى فصل الربيع بدل الشتاء، فاستحسن هذه التوسعة و صدق هؤلاء الرهط، و أذّن فى الناس أن العدو غير قادم و سـمح لأهل الباديـة الذين كان قد اسـتدعاهم من قبل بالعودة إلى مواطنهم و ترك المدينة. فكان ذلك غاية فى القصور و سوء التدبير.

و لمّا خلا للوالى الجو، و رجع أهل الباديـة إلى منازلهم، و اطمأن إلى ما أخبره به أسـرى سـردانية، عاد إلى تأجيـج الأحقاد ضد أجناد

میورقة و الانتقام منهم، فأمر صاحب شرطته أن یأتیه بأربعة من کبرائها فضرب أعناقهم و طرحهم بالعراء. و کان اثنان منهم ابنی خالة و خالهما أبو حفص عمر ابن شیری الذی سیقود ذیول المقاومة الإسلامیة فی الجزیرة بعد سقوط

تاریخ میورقه، ص: ۴۲

میورقة. و أمام هذه التصرفات الحمقاء للوالی اضطر الکثیر من وجوه المدینة و أعیانها إلی الفرار منها و اللجوء إلی البادیة و الاجتماع بابن شیری خال القتیلین و إخباره بما نزل و تحریضه علی طلب الثأر.

و لم یکتف أبو یحیی التنملی بتلک الأعمال الشنیعة التی ارتکبها فی حق أجناد و أعیان میورقة، فی وقت کانت حاجة الجبهة الداخلیة إلی التماسک و التلاحم شدیدة و ماسّة لمواجهة العدو، بل أصبح یوم الجمعة منتصف شوال ۶۲۶ ه و الناس من خوفه فی أهوال، فأمر صاحب شرطته أن یأتیه بخمسین من أهل الوجاهة و النعمة، فانقض علیهم و أحضرهم بین یدیه.

و بینما هؤلاء سکاری من الذعر، و عیونهم شاخصة و النوادب علیهم قائمة، و هم ینتظرون لحظة فراق الدنیا بقطع رؤوسهم، و إذا بفارس علی هیئته النذیر دخل علی الوالی، و أخبره بأن أساطیل الملک خایمی صاحب قطلونیة و أرغون قد أقبلت، و أنه عدّ فوق الأربعین من القلوع.

و قبل أن ینتهی من کلامه إذا بفارس آخر أقبل من الجهة الأخری لجزیرة میورقة فأخبر الوالی بأن أسطول العدو قد ظهر، و أنه عدّ فوق السبعین شراعا، و لما صحّ عنده الأمر سمح لهؤلاء المحتجزین عنده بالصفح و العفو و أعلمهم بخبر العدو و أمرهم بالتجهز، و خرجوا إلی دورهم کأنما قد نشروا من قبورهم. و فی الیوم الموالی و هو یوم السبت جاء من أکد للوالی الخبر و أخبره أن أسطول العدو یتکون من مائة و خمسین قطعة حربیة و أنه یقصد مرسی شنت بوصة (سانتا بونزا) الواقع إلی الجنوب الغربی من مدینة میورقة بحوالی عشرة أمیال (ستة عشر کلم).

۶. الصدام المسلح و فرض الحصار علی مدینة میورقة:

و لما أیقن الوالی أن العدو أصبح قاب قوسین أو أدنی من المدینة

تاریخ میورقه، ص: ۴۳

أخرج جماعة من أهلها لسدّ الثغور القریبة منها، و أسند قیادتها لبعض قومه الذین انهمکوا فی اللهو و المعاقرة و أهملوا شأن العدو، و لم یأخذ بمشورة الجماعة حین نصحتهم بالرباط فی مرسی شنت بوصة و حمایتها تحسبا لنزول العدو فیه، و ذهبوا إلی حدّ اتهامها بالخیانة. و فی صباح یوم الإثنین ۱۸ شوال ۶۲۶ ه/ ۱۰ سبتمبر ۱۲۲۹ م نزلت القوة الفرعیة الصلیبیة فی المرسی المذکور بقیادة نونیو سانشیز أمیر روسیون و غیره، و قوامها حوالی خمسمائة فارس و عشرة آلاف راجل و کان یحمل رایتها البحّار القطلانی برناردو ریودیما.

و تقدمت إلیها القوة الإسلامیة فوقع أول صدام مسلح بین الطرفین استمر طیلة ذلک الیوم، و أفضی إلی انهزام المسلمین و انسحابهم من المعرکة فی المساء. فکانت هذه الهزیمة أول البلایا، و فاتحة الرزایا، و عنوان الشر النازل، و ابتداء المرض القاتل کما یقول المؤلف.

و فی الوقت الذی کانت فیه معرکة شنت بوصة علی أشدّها، کان الملک خایمی الأول یقود القوة الرئیسیة إلی بورتوبی الواقعة إلی الجنوب الغربی من مدینة میورقة بحوالی خمسة کیلو مترات فنزل هناک فی صباح یوم الثلاثاء ۱۹ شوال أی بعد عودة فلول المسلمین المنهزمة فی المعرکة السالفة الذکر إلی مدینة میورقة. و لما کانت التجربة الأولی فی لقاء العدو قاسیة، طلب أهل میورقة من والیهم أن یتأنی قلیلا و لا یتسرع فی خوض معرکة أخری قبل أن یعید ترتیب الصفوف و یمحی آثار الهزیمة. و لکن الوالی رکب رأسه و تصلّب فی مناجزة القوات الصلیبیة و مشی علی غیر نظام و لا ترتیب یقود قرابة ألفی فارس و أکثر من عشرین ألف راجل.

و قبل خوض المعركة الحاسمة أشار أهل الرأى على الوالى أبى يحيى التنملى بأن يبنى أمر الحرب على رأس الجبلين الصغيرين المطلّين على

تاريخ ميورقه، ص: ۴۴

بورتوبى و هما مرج سرقسطة و مرج الملك ، أو العقبة كما يسميها ابن عميرة، و لكن الوالى رفض هذا الرأى و أصرّ على النزول. و نشبت المعركة بين الجانبين فى السفوح الغربية لتلك العقبة (الجبلين الصغيرين)، و دارت رحاها بكل شراسة و استبسل فيها الطرفان، و كان أمير طرطوشة من كبار المتحمسين لهذه المعركة فاستظهر لها بالعدة و القوة و أنذر أنه سوف يموت فى جزيرة ميورقة و أنها ستكون من نصيب الصليب، و لم يكن المسلمون أقل حماسة من أعدائهم حيث أبدوا شجاعة كبيرة فى القتال.

و بينما الحرب على أشدّها و ريح انتصار المسلمين فيها كادت أن تهبّ، إذا برجل من قوم الوالى جاء إليه و قال إن النصارى قد احتدم ثأرهم و إنهم يسعون للسيطرة على مرتفعات بورتوبى، التى كان الوالى قد رفض أن يبنى عليها أمر الحرب حسب الخطة المعروضة عليه من قبل، و خوّفه من عاقبة احتلال العدو لتلك المرتفعات و ما يترتب عنها من انقلاب ميزان الحرب لغير صالحهم، فراطن قومه أن يصعدوا إليها و يستتروا بها. و لما شرعوا فى الصعود إليها و الاعتصام بها ظن غالبية المسلمين أن الهزيمة قد حلّت بهم فولوا مدبرين وفرّ معظمهم إلى المدينة و لحقهم العدو، و تحول الانتصار إلى انكسار و الإقدام إلى إدبار. و لم يكن ذلك مردّه إلى قلّة عدد و عدّة المسلمين و لكن بسبب سوء تدبير الوالى و استعجاله و تصدع جبهته الداخلية.

و ارتحلت القوات الصليبية بعد معركة بورتوبى نحو مدينة ميورقة و شرعت فى فرض الحصار عليها برّا و بحرا فى أواخر شهر شوال، و أخذت فى إنزال الآلات الحربية و نصبت حول أسوار المدينة الأبراج الخشبية التى

تاريخ ميورقه، ص: ۴۵

أقيمت عليها المجانيق، و ضربت الأخبية وأرست سفن أسطولها فى البحر و جعلتها قبالتها، و قد أتمّت ذلك بسرعة فائقة. ثم أخذ الغزاة فى دكّ أسوار المدينة و أبراجها بالمجانيق و القذائف المحرقة، و كانت القوات الإسلامية تتسلل إليهم بين الحين و الآخر و تقاتلهم و تشتبك معهم دون وهن و لا يأس.

و لما رأى هؤلاء الغزاة أن ضرب المجانيق لم يحقق الهدف المطلوب رغم ما أحدثه من أثر فى أسوار المدينة، و أن عزائم المسلمين لم تفتر فى المقاومة، لجأوا إلى حفر الخنادق شمال شرق المدينة و غربها للوصول إلى المياه الجوفية و محاولة تدمير أسس الأسوار بغية الولوج إلى الميدان الرئيسى، و لكن المحاولة باءت بالفشل.

و لما رأى أهل البادية فى الجزيرة ما حلّ بميورقة من حصار و خناق شديد فرضه عليها العدو الصليبى، أخذتهم الغيرة على مدينتهم و دفعتهم الحمية للدفاع عن الإسلام و المسلمين، فاستجمعوا عدّتهم و عددهم و تجهّزوا للقتال. و قبل الخروج للعدو أرسلوا إلى الوالى أبى يحيى التنملى أن يبعث إليهم رجلا- يأتمرون بأوامره و يكونون طوعه، فندب لهم واحدا من قومه معروفا بالجبن ليس أهلا لقيادة الجيش و هو الذى كان قد أشار على الوالى فى معركة بورتوبى بالصعود إلى المرتفعات فوقعت الهزيمة بسبب ذلك. و ما أن رأى جموع الروم حتى هاج به الجبن و الخور ففرّ لا يلوى على شىء و كان السبب فى تفريق جموع أهل البادية الذين لم ييأسوا و أعادوا على الوالى رغبتهم تلك و اقترحوا عليه أن يبعث إليهم أحد أبنائه. و لكن الوالى الذى اشتهر بسوء التدبير أصرّ على أن يرسل إليهم الرجل نفسه رغم تشاؤمهم به و كرههم له، فجرّ عليهم ذيل الويل بفراره مرّة أخرى أمام العدو الذى أحدث فى أهل البادية مقتلة كبيرة و أمطر عليهم من البلاء سحبا غزيرة.

و لم تعدم جزيرة ميورقة وجود خونة باعوا شرفهم و ارتموا فى

تاريخ ميورقه، ص: ۴۶

أحضان العدو النصرانى مرتدين عن دينهم مفارقين لأمتهم، و من هؤلاء أحد عمّال الجزيرة و هو ابن عبّاد الذى أقبل على الملك

خايمى عارضا عليه ما يريد من خدمة مقابل أن يؤمّره على الجزيرة. و قبل الملك العرض و أحسن وفادته و أحاطه بكل رعاية و تكريم، فخرج الخائن ابن العباد إلى البادية ينشر روح الهزيمة بين أهلها و يثبط عزائمهم، و نجح فى إقناع الكثير منهم باعتناق النصرانية و مصالحة الروم، كما ظل يزود المعسكر المسيحى بالمؤن و الأغذية طوال فترة الحصار. فجاءت هذه الخيانة ضربة قاصمة لوالى ميورقة و من معه داخل الأسوار المحاصرة، و نفسا قويا للملك خايمى الذى أتاحت له الفرصة فى إطالة عمر الحصار بما ضمنه له الخائن ابن عباد من ميرة لمعسكره و علف لحيواناته.

و لما ضاقت الأحوال بأهل المدينة و اشتدت عليهم وطأة الحصار، أداروا الرأى بينهم و رأوا أن يبعثوا إلى أهل البادية و قائدهم الخائن ابن عبّاد جماعة منهم تعظهم و تنشدهم الله و الإسلام، و تحثهم على ترك التعاون مع النصارى و موالاتهم. و خرجت الجماعة يرأسها خطيب المدينة فلقيت فى طريقها من أيأسها مما فيه طمعت و همّت بالانصراف، ثم بدا لها أن تقيم الحجة على هؤلاء الخونة فواصلت طريقها حتى انتهت إليهم. و كان أهل البادية قد صالحوا الروم على شروطها و أرادوا توثيق هذا العقد، و طلبوا من الجماعة التى جاءت تمنعهم ذلك أن تحضر معهم هذا الصلح ليكون عقده أوثق و أصح.

و حاول وفد المدينة إقناع أهل البادية بكل السبل للتخلى عن هذا الصلح لتعارضه مع الإسلام و ما يجره على المسلمين من ويل و لكن دون جدوى، بل إن أعضاء الوفد سيقوا بالقوة إلى الملك خايمى الأول على يد أهل البادية الذين أخبروه بأن البلد فى حكمهم. و بعد حبسهم و إذلالهم أمرهم

تاريخ ميورقه، ص: ۴۷

الملك بأن يفاوضوا والى ميورقة المحاصرة و أهلها على الاستسلام، و لكنهم فشلوا بعد عدّة محاولات بسبب إصرار الوالى على المقاومة و رفض الاستسلام. فاشتد غضب الملك خايمى على الخطيب و جماعته و اتهمهم بالتواطؤ مع أهل المدينة فأعادهم إلى السجن ثم صاروا فى حكم الرقّ.

و بعد فشل الخطيب و جماعته فى إقناع أمير البليار بالاستسلام، أرسل إليه الملك خايمى عمّ والده الكونت نونة لمفاوضته على تسليم المدينة و لكن الأمير المسلم رفض الصفقة و قرر المقاومة و انقطعت المفاوضات و عاد القتال من جديد بين الطرفين بشكل أعنف، حيث أضرم النصارى النار تحت سور المدينة فسقط و معه ثلاثة من الأبراج الغربية فى الثالث عشر من شهر محرّم سنة ۶۲۷ ه. و تمكنت القوات الإسلامية من مجابهتهم بقوة وردّتهم على أعقابهم و أعادت بناء ما تهدم و لكن إلى حين، لأن الحصار اشتدّ و طالت أيامه و كثف العدو هجماته على المدينة، و باءت الخطط المعروضة على الوالى فى الدفاع بالفشل بسبب بخله و سوء تدبيره، و ازدادت الأوضاع سوءا وأضحت ميورقة قاب قوسين أو أدنى من السقوط.

۷. سقوط مدينة ميورقة:

و لما رأى أبو حفص عمر بن شيرى، الذى كان الوالى قد قتل ابنى أخته ضمن كبراء المدينة الأربعة، أن أمر العدو قد استشرى و أن خناقه على المدينة قد اشتد أكثر، خرج إلى البادية يستنجد أهلها و يسعى فى إفساد ما كان بينهم و بين النصارى من وصلة و هدنة، فجمعهم و وعظهم و أيقظ فيهم الغيرة على الإسلام و المسلمين و ألهب حماسهم فأجابوه لما دعاهم و خرقوا الهدنة مع العدو و قتلوا منه من كان بين أظهرهم.

و فى يوم الجمعة ۱۱ صفر سنة ۶۲۷ ه/ ۲۸ ديسمبر ۱۲۲۹ م اجتمع

تاريخ ميورقه، ص: ۴۸

النصارى بقيادة ملكهم خايمى الأول و قرروا اقتحام مدينة ميورقة لأن ظروف الحصار لم تعد فى صالحهم، فقد توجّسوا خيفة من أهل البادية الذين نقضوا الصلح معهم، و ازدادت الأحوال الجوية فى فصل الشتاء سوءا حيث اشتد البرد و هاج البحر، و لم يأمنوا ردّ فعل

قوى من طرف أهل الجزيرة المحاصرين الذين كان بإمكانهم استغلال الظروف المذكورة لصالحهم و فك الحصار المضروب عليهم.

و فى صباح اليوم الموالى أمر الملك خايمى بالهجوم العام و الشامل على المدينة التى تمّ اقتحامها من الثغرات المفتوحة فى الأسوار، و انهالت عليها جموع العدو التى ألهب حماسها الأساقفة و رجال الدين، و كان يوما عصيبا على مسلمى ميورقة و أذكر بهوله هول يوم القيامة كما وصفه المؤلف.

و تواصل القتال طوال يومى الأحد و الإثنين ۱۳ و ۱۴ صفر ۶۲۷ ه بكل شراسة و عنف و تكدّست أكوام من الجثث على معابر الثغرات و أزقة المدينة نتيجة للمقاومة العنيفة، و كان والى ميورقة يقود القتال بنفسه و يحث جنوده على الثبات، و لكن حدّة الهجوم الشديدة و خيانة المرتد ابن عبّاد الذى أطلع العدو على ثغرات المدينة و طرقها، لم تجد معها بسالة المدافعين، و سقطت المدينة بعد قرابة أربعة شهور من الحصار، حيث تسلّمها الملك خايمى يوم الثلاثاء ۱۵ صفر ۶۲۷ ه/ ۱ يناير ۱۲۳۰ م، و أباحها لغزاته ينهبون و يقتلون. و قد بلغ عدد قتلى مسلمى مدينة ميورقة أربعة و عشرين ألفا و هى مجزرة رهيبة ارتكبها نصارى قطلونية و أراغون فى حق هؤلاء بكل قسوة و وحشية.

و وقع أبو يحيى التنملى والى ميورقة و جزر البليار فى قبضة العدو الذى سجنه و عذبه عذابا شديدا و عاش خمسة و أربعين يوما فى النكال الشديد و الهول المذيب للحديد، حيث طلب منه الكشف عن الكنوز و الأموال التى كانت عنده، كما أحضروا أحد بنيه بين يديه و قتلوه تنكيلا

تاريخ ميورقه، ص: ۴۹

و إرغاما له. و لكنه صبر صبرا جميلا و لم يحصل منه العدو على ما أراد و مات تحت العذاب. و أما أهل ميورقة الذين نجوا من القتل فأغلبهم وقع فى الأسر و بيع فى سوق الهوان و فرّ بعضهم إلى جبال الجزيرة و التحقوا بابن شيرى.

و أترك القارئ الكريم يطّلع بنفسه و بأسلوب المؤلف البليغ المؤثر على تلك المشاهد المفجعة و الجرائم البشعة التى اقترفها النصارى فى حق مسلمى ميورقة قتلا و أسرا و سبيا و قهرا.

و لم تتوقف المقاومة الإسلامية ضد الغزاة النصارى فى الجزيرة بعد سقوط ميورقة العاصمة، بل تواصلت فى الجبال بزعامة القائد أبى حفص عمر بن شيرى الذى اتخذ من معقل بلانسة الجبلى فى شمال الجزيرة إمارة صغيرة لمواجهة العدو. و التحق به الناجون من مذابح النصارى فبلغ تعداد قواته حوالى ستة عشر ألف مقاتل، و قام بتنظيم شؤون إمارته و عين الولاة و القادة و القضاة. و كان يشرف على شؤون القضاء فى إمارة بلانسة الجبلية القاضى أبو على عمر بن أحمد العمرى الذى قال عنه ابن عبد الملك ":و هو من صرحاء ولد عمر بن الخطاب، كان حافظا اشتهر باستظهار الموطأ و الذكر لمسائل الرأى و سرد أقوال الفقهاء، و استقضى بالجبل بعد انحياز الفلّ الميورقيين إليه إثر تغلب الروم على ميورقة و أعمالها، توفى بحصن بلانسة سنة ۶۲۸ ه . "كما انضوى إلى هذا الجبل الفقيه أبو العباس أحمد بن المواق الذى كان فقيها حافظا عاقدا للشروط ماهرا فى المعرفة .

و تمكن ابن شيرى من إلحاق خسائر فادحة فى صفوف القوات الصليبية التى كان يباغتها فى هجمات ليلية متلاحقة و يعود إلى معقله دون أن

تاريخ ميورقه، ص: ۵۰

تتعرض له تلك القوات فى الشعاب الجبلية الوعرة. و استمرت المقاومة بعد سقوط مدينة ميورقة أكثر من سنة. و رغم النجاح الذى حققته إلا أنها كانت تفتقر إلى مزيد من الدعم و هو ما لم تتمكن من الحصول عليه سيما بعد قطع النصارى لخط الإمداد الذى كان يتزود عبره الثوار من جزيرة منورقة.

و ازدادت الأحوال سوءا و اشتد الجوع بهؤلاء المقاومين حتى دفعهم إلى أكل جثث قتلى النصارى حسب المؤلف، و ثبت ابن شيرى فى أغلب الوقائع مع أصحابه إلى أن جاءته الشهادة فى آخرها حيث استشهد فى ضحى يوم الجمعة عاشر ربيع الثانى من سنة ۶۲۸ ه/

۱۲۳۱ م، و اختل الأمر بعد وفاته و تفرق أتباعه فمات أغلبهم، و أما الحصون الثلاثة الأخيرة فقد امتنع أصحابها مدة ثم صالحوا الروم على مغادرة الجزيرة فی شهر شعبان من السنة نفسها، و باستخلاص هذه المعاقل الثلاثة خلصت الجزيرة لأهل التثليث.

و فی مطلع شهر شعبان ۶۲۹ ه/ أوائل جويلية ۱۲۳۲ م و بعد القضاء النهائی على كل معاقل و حصون المقاومة الإسلامية فی جزيرة ميورقة، أصدر الملك خايمی الأول كتابا بتقسيم أراضی الجزيرة إلى إقطاعات له و لكبار قادة حملته الصليبية. و يتألف هذا الكتاب، المعروف بالمخطوط اللاتينی العربی حول تقسيم جزيرة ميورقة، من جزئين: أحدهما باللغة اللاتينية و الآخر باللغة العربية. و قد نشر المؤرخ الميورقی الأستاذ خايمی بوسكيتس موليت النص اللاتينی فی مجلة جمعية القديس رايموند لوليو للدراسات الأثرية فی بالما سنة ۱۹۵۳ م، و نشر النص العربی ضمن مجموعة من الدراسات بمناسبة تكريم الأستاذ مليلس فاليكروسا فی برشلونة سنة ۱۹۵۴ م، ثم جمع كلا النصين فی كتاب واحد و كتب تعليقا عليهما بالإسبانية .

تاريخ ميورقه، ص: ۵۱

و النصان يكمل أحدهما الآخر و يتناول كلاهما تقسيم جزيرة ميورقة بعد انتزاعها من حكم المسلمين، و من الأرجح أن يكون النص العربی قد كتب قبل اللاتينی و أن الأخير ترجم عنه. و للنص العربی قيمة كبرى فی توضيح عمارة ميورقة وقت استيلاء النصارى عليها و ما كان فيها من مزارع و أرض و ديار عامرة و غير ذلك، و كذلك الأعلام الجغرافية العربية الواردة فی النص التی ما زال الكثير منها باق إلى اليوم. كما وردت فی النص ألفاظ ميورقية خاصة مثل الرّحل و الحوز و الزوج و غيرها .

تلك هی رواية ابن عميرة المخزومی التی ساقها عن سقوط جزيرة ميورقة بأسلوب بيانی مسجوع، و حاولت هذه الدراسة شرح و تحليل بعض جوانبها و تفسير الغامض منها قدر الإمكان، و هی رواية رجل عاصر تلك الكارثة و استقى أحداثها ممن عايشوا أطوارها و رووا تفاصيلها. لذلك فليست الرواية المسيحية بأكثر غنى و ثراء من نص ابن عميرة فی هذا الباب فضلا عما يشوبها من تحريف و تناقض و تعصب و تحيز مما يجعلها غير جديرة بالثقة و الاعتماد.

ثامنا: المخطوط و طريقة التحقيق

ترددت طويلا- قبل الإقدام على تحقيق هذا المخطوط، لأن التحقيق على أصل وحيد تجربة قاسية حافلة بالمصاعب. و لكنی، نظرا لأهمية الكتاب و قيمته التاريخية و الأدبية العظيمة و ما يضمّه من معلومات لا نجدها فی أصل آخر، مضيت أبحث عن أصول أخرى، فاتصلت بالقائمين على أقسام

تاريخ ميورقه، ص: ۵۲

المخطوطات داخل الجزائر و خارجها فی المشرق و المغرب راجيا البحث عن نسخ أخرى، فتفضلوا بالبحث و الاستقصاء و لكن دون جدوى. و كانت الحصيلة من كل الجهد الذى بذل فی هذا الشأن هو الظفر بنسخة مصورة عن النسخة الأصلية الموجودة بخزانة زاوية سيدى بلعمش بمدينة تندوف التی زودنی بها مشكورا الأخ الفاضل أمانة الله صاحب الخزانة، فلم يبق إلا الاعتماد على هذا الأصل الوحيد لأن إخراج الكتاب إلى النور أجدى من الانتظار زمانا قد يطول.

و يعود اتصالی بالمخطوط إلى صائفة سنة ۲۰۰۱ م عند ما وقع بين يدى قرص مضغوط يحتوى على مجموعة من المخطوطات المصورة من خزانة زاوية سيدى بلعمش، كان مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث بدبی قد قام بتصويرها و وضعها فی أقراص مضغوطة خلال جولته التی قام بها إلى دور و خزائن المخطوطات بالجزائر فی السنة نفسها. و لما فتحت القرص و اطلعت على عناوين الكتب لفت انتباهی مخطوط بعنوان تاريخ ميورقة لابن عميرة المخزومی فرأيته جديرا بالاهتمام و شرعت فی قراءة محتواه. فتبين لی بعد القراءة الأولية أن العنوان لا- يتناسب مع مجموع المخطوط الذى يتألف من ۱۲۶ ورقة حسب البطاقة الفنية التی وضعها مفهرس مركز جمعة الماجد، لأن الذى يناسب العنوان هو ۲۶ ورقة الأولى من المخطوط، أما المائة الأخرى فهی تعالج موضوعا آخر و هو

رسائل ابن عميرة. و لعل السّهو الذى وقع فيه المفهرس يعود إلى خلط بعض الأوراق داخل المخطوط، و منها الورقة الأخيرة من تاريخ ميورقة الواردة فى نهايتها عبارة نسخ و قوبل من خط مؤلفه التى وضعت فى آخر المخطوط، سيما و أن المجموع المخطوط قد نسخته يد واحدة.

و قد استعصت على قراءة بعض الكلمات و العبارات غير الواضحة فى

تاريخ ميورقه، ص: ۵۳

النص المصور على القرص المضغوط، فاتصلت بالأخ الفاضل أمانة الله صاحب الأصل المخطوط و طرحت عليه المشكلة، و لم يتردد فى تزويدى بنسخة مصورة على الورق، فتمكنت بفضلها من قراءة كل ما استشكل على لوضوحها. و لما استقر عندى أن المخطوط جدير بالتحقيق و النشر، عقدت العزم على القيام بهذه المهمة، فأعدت قراءته عدة مرات، ثم جاءت فرصة انعقاد الملتقى المغاربى الثانى للمخطوطات الذى نظمه مخبر البحوث و الدراسات فى حضارة المغرب الإسلامى بجامعة قسنطينة فى شهر نوفمبر ۲۰۰۴ م، فقدّمت المخطوط ورقة علمية فى هذا الملتقى. كما عرّفت به فى مقالة نشرتها مجلّة التراث العربى التى يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق فى عددها ۹۸ جوان ۲۰۰۵ م.

و فيما يلى جملة من النقاط المتعلقة بحالة النسخة الوحيدة من المخطوط المعتمدة فى التحقيق:

۱. إن المخطوط خال من أى ذكر لاسم الناسخ و تاريخ و مكان النسخ و اكتفت اليد المجهولة التى خطّته بالإشارة فى نهايته إلى أنه نسخ و قوبل من خط مؤلفه.

۲. ورد عنوان المخطوط و اسم مؤلفه الكامل على وجه الورقة الأولى و ظهرها.

۳. يقع المخطوط فى ۲۶ ورقة بوجهين (۵۲ صفحة).

۴. مقاسه ۲۴ سم طولا و ۱۸ سم عرضا و هو غير مرقم. و عدد الأسطر فى كل صفحة ۲۳ سطرا.

۵. و الخط مغربى واضح و لون الحبر أسود.

تاريخ ميورقه، ص: ۵۴

۶. المخطوط خال من أى بياض أو بتر أو خرم و حالته متوسطة.

۷. فى الحالات التى كان الناسخ ينسى كتابة كلمة أو عبارة فى المتن أو يخطئ فى كتابتها، يستدرك ذلك بكتابتها على الهامش و يضع فوقها كلمة "صح."

۸. لغة الناسخ سليمة لانعدام الأخطاء الإملائية و النحوية بالمخطوط.

۹. انعدام التعقيبات و التعليقات فى هوامش المخطوط باستثناء الورقة الأولى التى كتبت عليها بخط مغاير الفقرة التالية ":الحمد لله وحده، صلى الله على سيدنا محمد، استودع الكاتب هذه الشهادة، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن سيدنا و مولانا محمد عبده و رسوله صلى الله عليه و سلم، عليها نحيا و عليها نموت و عليها نبعث إن شاء الله. محمد الأمين بن محمد المختار بن بلعمش كان الله له وليا و نصيرا آمين و الحمد لله رب العالمين."

و محمد الأمين هذا كان عالما جليلا كبيرا القدر كما يصفه المختار السوسى فى كتابه المعسول، له رسائل فى الحض على صون النساء، مات فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى، و هو من آل بلعمش. والده هو محمد المختار الذى يصفه نفس المؤلف بأنه كان عالما جليلا يدوى صيته فى جهات غرب الصحراء الكبرى، و أنه فريد فى العلوم و فى القراءات. و هو الذى أشار على أخواله من قبيلة تاجا كانت المعروفة ببناء مدينة تندوف فى سنة ۱۲۷۰ ه/ ۱۸۵۳ م، فكان أول ما بنى فيها المسجد الأعظم ثم شرعوا فى بناء الدّور. توفى سنة ۱۲۸۵ ه/ ۱۸۶۸ م.

و بعد اقتناعى بفائدة تحقيق هذا المخطوط و عزمى على ذلك رغم عدم حصولى على نسخة ثانية، لأنه عزّ على نص مخطوط كهذا

علی جانب

تاریخ میورقه، ص: ۵۵

کبیر من الأهمیة یظل حبیس خزانة الزاویة، و بعد قراءته عشرات المرات مستفیدا و محققا و مراجعا و مقارنا و مصححا و حدی و مع غیری خرجت بما یلی:

۱- قسمت المتن إلی فقرات یقتضیها المعنی و سیاق الکلام.

۲- نبّهت علی الانتقال من صفحة إلی أخری فی أصل المخطوط و ذلک بإثبات رقم الصفحة بین خطین مائلین هکذا (//).

۳- کل العناوین الواردة فی المخطوط من وضع المؤلف، و قد جاءت مسجوعة علی الطریقة نفسها التی کتب بها النص، و احتفظت بها کلها و لم أضف إلیها أی عنوان.

۴- جمیع الهوامش من عملنا. و قد عرّفت فیها بجمیع أسماء الأعلام و الأماکن الواردة فی المخطوط.

۵- حاولت شرح الکلمات الصعبة و الغامضة فی النص و التعریف بها ما أمکننی ذلک معتمدا علی لسان العرب و القاموس المحیط، کما استخرجت الصور البیانیة و المحسنات البدیعیة، و هو ما تفرضه خصوصیة الکتاب الذی دوّن أحداث التاریخ بأسلوب أدبی رفیع، تقوم خصائصه علی السجع بألوانه، و الجناس بمختلف أشکاله، و ضروب المقابلة و الطباق، و قوة البیان، و استعمال التلمیح و الإشارة و التوریة و الاقتباس و غیر ذلک من المحسنات البدیعیة.

۶- وضعت للکتاب الفهارس الضروریة، کما زودته بقائمة بیبلیو غرافیة تتعلق بمصادر و مراجع التحقیق.

و لا یفوتنی فی ختام هذا التقدیم أن أتقدم بالشکر الجزیل إلی الأخ

تاریخ میورقه، ص: ۵۶

الفاضل أمانة الله صاحب زاویة سیدی بلّعمش بتندوف و مالک أصل المخطوط الذی زودنی بالنسخة المصورة المستعملة فی هذا التحقیق.

و أدعو الله أن یعدّ جهدی هذا من صالح العمل و هو الموفق و الهادی إلی سبیل الرشاد.

د. محمد بن معمر جامعة وهران

تاریخ میورقه، ص: ۵۷

الصفحة الأولی من المخطوط

تاریخ میورقه، ص: ۵۸

الصفحة الأخیرة من المخطوط

تاریخ میورقه، ص: ۵۹

تاریخ میورقة

تاریخ میورقه، ص: ۶۱

مقدمة المؤلف

/ ۲/ بسم الله الرحمن الرحیم و صلّی الله علی سیدنا محمد و علی آله و سلّم. قال الشیخ الفقیه الأجل، القاضی الأعدل، الکامل الأوحد الأفضل، أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عمیرة المخزومی رضی الله عنه.

الحمد لله مصرف الأقدار علی مشیئته، و مبتلی الإنسان من صرف الحدثان بما هو متقاض لنقده و نسیئته، و صلّی الله علی سیدنا محمد و رسوله طلیعة غیب السماء لساکن الأرض و ربیئته ، الذی عمّ الأنام حین بعث برسالته و یوم قبض برزیئته .

هـذا ذكر من خبر ميورقـة و تغلّب الرّوم عليهـا، من حين أدارت الرّوم أمرهـا، و أرادت أسـرها، إلى أن محقت حقها، و ملكت رقّها، و أخرجت الإيمان من قلبها، و زجرت أغربتها لفل غربها. و هو لأحد الرّجلين متعلم لصـياغة الكلام، و متألّم من صناعة الأيام، هذا يتعوذ من سوء القدر، و ذاك

تاريخ ميورقه، ص: ۶۲

يتعود صوغ الفقر و الغوص على الـدّرر، و قـد يجتمع الأمران لواحـد، فيحصـل من الكلام على فائـد، و من العلم بما جرى على شـيء زائد.

و الـذى بعث على إثبات هذا الخبر، و ندب إلى جمعه على الوجه المختصـر، أحد إخواننا ممّن كان متربا بتلك التربة، ثم عاد تربا فى أرض الغربة ، فإنه/ ۳/ حثّ على عمله بجـد، و أشار إلى أنّه عنـده كنزل معد، فقلت قرّى حظ صاحبه منه قراءة، و مسرّة بالإرضاء هى بالذكرى لتلك الأرزاء مساءة، ثم انتدبت لرغبته انتداب المجيب، و أتيت بالأخبار عن ذلك الأمر الغريب، و أثبته فى الزمن القريب، و على الله التوكل و به أستعين، و فى كنف فضله و مورد جوده أرغب و أحدهما هو المنيع و الآخر هو المعين .

تاريخ ميورقه، ص: ۶۳

ابتداء أمر الجزيرة بالأخبار عن أميرها و توليه لتدبيرها إلى وقت تدميرها

هو محمـد بن على بن موسـى و كـان فى الدّولـة المهديـة أحـد أعيانها الكفاة، و أحمـد من نهض بأعبائها من الولاة، إلى أن حطّ عن رتبته، و جووز إلى الأندلس فى نكبته، ثم استقل بعض الاسـتقلال، و ولى بلنسية و ما إليها من الأعمال، و بعد ذلك بيسير تبادل هو و والى ميورقة محلى الولاية،

تاريخ ميورقه، ص: ۶۴

و أحدهما كفؤ الآخر فى الكفاية.

فعبر البحر إليها سنة ست و ستمائة (۶۰۶ ه) و سار فيها بأحمد السير، و حماها ممّا كان يتحيّف غيرها من الغير، و سارت به ميورقة مثلا فى العـدل الواضح السـنن، أملا لكل نائى الوطر نابى الوطن ، و كان يجلس لعامة الناس عامة يومه ، و يأخذ الحق للضـعيف من أقوى قومه، فأفعم قلب القلوب مودّة، و أقام على مـدّ ظلال العدل/ ۴/ مـدّة. إلى أن آثر عرض هذا الأدنى على ذلك الغرض، و عرض له ما يعرض للأبـدان الصـحيحة من المرض، فجمع منهوبـا بالمـآل، و صار منهوما لا يشـبع من المال، و اقتنى ما بـداخل البلـد و خارجه من الرباع و الضياع ، و ما علم أن ما كسب فأملك

تاريخ ميورقه، ص: ۶۵

من يـده له يـد الضـياع. ثم خلع قومه من الأنـدلس فكان خبرهم بميورقـة بـدأة الشـر الـذى باض و فرّخ ، و ماؤه رشـح و بلاؤه رسخ، حسبما يفرغ من بيانه، و يستوفى إن شاء الله تعالى فى مكانه.

تاريخ ميورقه، ص: ۶۶

وصف ما جرى من الجزيرة التى هاجت الرّوم لغزو الجزيرة

احتاج هـذا الوالى إلى الخشب المجلوب من يابسة فأنفذ عنه طريدة بحرية ، و عمّر صـحبتها قطعة حربية، فخرجت على مرأى من تجار للنصارى كانوا هنالك فى قارب، و ربّ مسالم تحت أثوابه ضـغن محارب ، فطاروا إلى طرطوشة بالخبر، و وعدوا ظفر الكفر إن نشب فيها بالظفر، فجهز

تاريخ ميورقه، ص: ۶۷

المثلثة لها ثلاثا من القطع صغارا، و قرنوا بها واحدا من الكبار استظهارا، فخرجت لذلك المقصد، و جاءت حتى قعدت من طريق الإلفين بالمرصد، فانفصلا بحاجتهما من يابسة، و قصدوا ميورقة البائسة، و مرّا بالعدو الكامن، و لا علم عند رجالهما من الأمر الكائن ، فخرجت عليهم القطع الأربع دفعة، وفاتها غراب المسلمين سرعة، فطردت/ ۵/ الطريدة حتى اقتنصتها، و خلصت إليها و استخلصتها.

و جاء الغراب ميورقة خزيان بإسلام الحليلة، لهفان على منعها بالقوة أو الحيلة، فعظم على الوالى ما حدث، و حدّث نفسه بغزو الروم وليته ما حدّث، و وجّه إلى ملكهم و هو جاقمه بن بطر بن أدفونش يطلبه بردّ

تاريخ ميورقه، ص: ۶۸

الطريدة، و يتوعده بالنكايات الشديدة، و الاغترار بزمامه آخذ، و حكم الله ماض و قضاؤه نافذ.

ثم أطاع الطمع، و جهّز القطع، و أرسل منها العاديات سبحا، لا العاديات ضبحا ، و حاول عين الخسارة و هو يظنها ربحا ، و هناك حال عن سننه المعروف، و تعرض لهيج الحروب و هو لا يحسن من علمها تهجى الحروف . فجاءته قطعه بأجفان رومية، و ما صاب سهمها تلك الصّائفة عن رمية، و ممّن حصّلته فى قبضة الإسار، نصرانى مشهور بالثروة و اليسار، فاحتفظ به الوالى عند حفيظ، و طلبه بمال غليظ، ثم نزل معه إلى عشرة آلاف. و فسح له أن يبعث عنها من يأتى بها من غير إخلاف، فبعث إلى أهله فى الظاهر أن يؤدّوا و يدفعوا، و لحن لهم أن يردّوا و يمنعوا، ففهموا ما أراد تاريخ ميورقه، ص: ۶۹

فأيأسوه، و أنسوا لقوله فأظهروا أنهم نسوه.

تاريخ ميورقه، ص: ۷۰

قصة المسطّح و المركب

و اتصل بالوالى فى أخريات ذى الحجة من سنة ثلاث و عشرين و ستمائة (۶۲۳ ه) أن مسطّحا من برجلونة ظهر على يابسة/ ۶/ و قعد عليها مخيفا، و أقام حواليها مطيفا ، و أنّ مركبا من طرطوشة انضم إليه فى ذلك المكان، و فيه من المال ما يخرج حصره عن الإمكان. فأغذ حركة زهوه، و أعدّ قطع غزوه، و ملأها بكماة الهياج ، و حماة سرح الأثباج ، و جعل أحد بنيه، و وسمه بالتسمية لهذا الوجه النبيه، فخرج حتى نزل بمرسى يابسة و وجد فيه لأهل جنوة مركبا كبيرا، فأنشأ فيه تدبيرا، و عزم أن يعمره

تاريخ ميورقه، ص: ۷۱

بالرجال، و يستظهر به فى القتال.

فتمّ له ذلك فى أقرب مدّة، و فرغ ممّا كان بقى عليه من إكمال عدد و عدّة، و سار فى تعبئة سارة، و نهض فى جوار للمركب جارّة، حتى طلع على المركب و المسطح، و هما مرتبعان فى ذلك الأبطح ، فدنا السّواد من السّواد ، و كان لما حضر من جياد الماء حضر الجياد. و برز المركب للمسطح فقابله و هو مصمم إليه، و قاتله و هو مشرف عليه، فظهر المسلمون عليه ظهورا بيّنا، و قدّروا الظفر به هيّنا هيّنا .

و كشفوا النصارى عن ظهر المسطح حتى أخلوه، و لم يشكوا فى علو الأيدى إذا علوه. فجدّوا فى حملتهم، و مالوا إلى جانب المركب بجملتهم، و لم تكن أحكمت أسباب جريته، و لا أصلحت أداة توصيله إلى بغيته، فأحجم عن طلقه، و كاد يغرق بقلقه، و بعد لأى ما استقل، و وجد المسطّح فترة فنسل و انسل.

و لما علم أهل المركب أنّه قنص قد أفلت من مخالبهم ، و قبس أظلم فى عين طالبهم، عطفوا على/ ۷/ مركب النصارى و ريحه هابّة، و ظهره لا

تاريخ ميورقه، ص: ۷۲

ترمحه من تلك القطع دابة ، فحين دنا منه يئس من الخلاص، و أيقن أنّه فى يد الاقتناص. فطلعه المسلمون من كل جانب، و اقتسموه

بين قاتل و ناهب، ثم رفعوا القتال، و جمعوا بين يدى الوالى المتمول و المال، و كان فيهم أربعة من جنوة، هم أشهر أهلها يسارا و ثروة، فقتل من ساعته من ذكر من أهل السّيعة، و كان مرباعه مال هؤلاء الأربعة، فأودعه عند بطانته، و جعل أمناء على ما لم يدخل تحت خيانته. و عاد إلى ميورقة و هو يرى أنه غالب لملوك الزمن، بالغ بسيفه و يزنيّه مالم يبلغه سيف ابن ذى يزن ، و غاب عنه أنّه أشأم من عاقر الناقة ، و أن طليعة عمله ستلحقها من الساقة ما ليس فى الطاقة .

فإن الرّوم حين بلغهم الخبر قالوا خطب كبار، و أمر ليس عليه قرار، و كيف نقابل رفع هذه الفتوق بالفتور ، أو ننام و ليس بنائم ليل الموتور، و قد

تاريخ ميورقه، ص: ۷۳

كان لأميرها أبى إبراهيم إسحاق بن محمد فينا أيام تشيب النواصى، و غارات تبلغ الأقاصى، حتى قطع عن البحر و الساحل القاطع و القاطن، و أعاد مواطئ لخيله تلك المواطن. و الآن بذلك الكيل تكال، ففيما التلكؤ و علام الاتكال؟

و اجتمعوا إلى ملكهم الذى سمّيناه فقالوا قد خامر الأمر الفظيع ، و إن ضعنا فأنت هو المضيع، و كيف ترضى بخطة الخسف، أو تقنع لجبالهم و بحارهم/ ۸/ بدون النسف و النزف ، و إنما هى خطتان إمّا سلم نقبلها كرها، أو حرب لا ندع فيها من وجوه النظر وجها، فإن اخترت الحرب ففينا العدة و العدد، و منا مع المدد البعوث و المدد ، و نحن نجهز بأموالنا جيشا يتلوه

تاريخ ميورقه، ص: ۷۴

جيش، و لا ترضى أن يدوم لنا على الضيم عيش. و هذا النصرانى المأخوذ بميورقة نأخذ من ماله جملة، و نجعل ذات أيدينا للانتصاف من أعادينا وصلة.

فأخذ عليهم بذلك العهود، و أشهد على مقالتهم الشهود ، و أنفذ إلى ميورقة كبيرا من النصارى، و طلب الوالى برد المركب و المال و الأسارى، على أن يكف عن المسلمين، و يصالحهم عشر سنين، و إن أصرّ على اللجاجة ، و صار إلى الرّد فى الحاجة، فإنه يغزوه لا محالة، و يصدّق بفعاله هذه المقالة.

فوصل الرّسول و نزل، و أدّى عن صاحبه ما طلب و بذل، فاستعظم الوالى هذه الغرامة، و قال لا و لا كرامة ، و أعاد عليه الكلام فلم ينتفع بإعادة، و عاد إلى الاقتصار على الأسارى دون زيادة، و الوالى قد استخف بالأحوال المخيفة، و مثل نفسه بصادق الحنيفية مع كذاب حنيفة.

فلما علم الرّسول أن يده لا تسمح بما أرعت، و أذنه لا تقبل على ما وعت، أحال إلى الكدر كبوه، و أبلغه مقالة الملك و أنّه أجمع غزوه، فأبرق

تاريخ ميورقه، ص: ۷۵

و أرعد ، و أحفظه ما به توعد، و قال أو بلغ من حداثة الخبيث، أن يحدّث نفسه/ ۹/ بهذا الحديث ، قل له للبلوغ سنّ لو كان يدركها، لكان يدع هذه الدّعوى و يتركها، و لو كان لنا أجفان تكفينا لركبنا إليه ثبج هذا البحر، و نزلنا من سرارة أرضه بين السّحر و النحر.

و لم يعلم أن من الاعتزاز ما يهب هوانا ، و أنّ ربّ كلمة هاجت حربا عوانا . فقام الرّسول و هو يقول قد زل لسانك و ستزل قدمك، و ستندم على ما فرط منك حيث لا يغنى عنك قدمك، و ما تغنى أضغاث الأحلام ، إذا هاجت أضغاث الكلام، و خرج حتى ركب ظهر مطيته، و عاد بما انطوى عليه إلى طيّته .

تاريخ ميورقه، ص: ۷۶

حديث ملك الرّوم حين عاد إليه رسوله من مراده مخفقا و للخبر المثير لأحقاده محققا

و لما انصرف صاحب الرّسالة، و جاء على آخر المقالة، تملك الملك الغضب، و قال عند القراع يعلم أيّنا النبع و أينا الغرب . و تهيّأ

للعبور، و أقام لتلك الأمور، و استنجز طائفة الشرك موعودها، و أشهد على نفسه عابد الكنائس و معبودها، و كتب أهل النجدات على اختياره، و ميّز الفارس و الرّاجل باختباره، و أمر كلّ واحد من جنده أن يحضر من الدّروع الفارسية و الفرسيّة بأحصنها، و من/ ۱۰/ التّرسة الذهبية بأحسنها، و من الجياد بأفرهها ، و من الصّعاد بأشهرها و أشرهها .

و كانت هذه فريضة رباعية عنى بحصرها، و لم ير السفر مظنة المشقة فيرخص فى قصرها، و استكمل من عدة خيله التى انتقاها هذا الانتقاء، و كلف أشقياءها هذا الشقاء، ألفا و خمس مائة فارس، من كل محام ممارس، صابر

تاريخ ميورقه، ص: ۷۷

على كل جهد، ناهد على أقبّ نهد . فأما الرجالة فكانت عدّة أهل البلاد منهم عشرين ألف راجل، بين رامح و نابل، و حام حامل، و خاتر حاتل ، و أكمل لمراكب البحر من جوارحه ، و سراحين مسارحه ، ستة عشر ألفا شرط عليهم حمل السلاح، و أن يحضروا معه حومة الكفاح.

و أمر أهل السّواحل بما شاء من الإنشاء، و فرّغهم لنتاج الحاملات لعسكر الماء، و وظف عليهم من أنواعها عددا، و ضرب لهم فى الوفاء بها أمدا، و وعد الجميع مرسى شلوط و هو أقرب المراسى للجزيرة، و أخصّها

تاريخ ميورقه، ص: ۷۸

بالمصالح الكثيرة، فإنه مرسى ترفأ إليه السفن، و تدنو منه العمائر و المدن، برّه سهل فسيح، و بحره لا تهيجه ريح، فهو مجمع لشاة تسام، و تاجر يستام ، و وارد يسافر، و صادر كافر جاء به الكافر.

تاريخ ميورقه، ص: ۷۹

وصف ما نشأ أثناء هذا التدبير من تهيب الرّوم لهذا المرام الكبير

/ ۱۱/ و بعد أن عزم النصارى على هذا الرأى، و شاهدوا ما لملكهم فيه من الجد و السعى، تعقبوا النظر، و استشعروا الحذر، و قالوا يجب أن نتبيّن أقوم الطرق، و الشروع فى العمل قبل تدبير الغاية من الخرق. و ميورقة على ضم الرجال مبنية، و هى للبعيد و القريب أمنية، فهى بالمقاتلة طافحة ، ثم هى لكبش السماء مناطحة، و ليمين الثريا مصافحة ، و ركوب البحر إليها ركوب الغرر، و ورودها مظنة لسوء الصدر، و الملك قد ركب رأسه، و وعد بها نفسه، و ظنّ أنّها أخيذة لشرك شركه، و أنّ بهذا المسلك تنتظم فى سلكه.

فمن الرّأى أن نقوم الآن من مجلسنا، و ننهض إليه بأنفسنا، و نأتى عنده فى هذه العلة بقول شاف، و نبين عليه ما نتخوفه و هو عليه خاف. و لقد كانت ميورقة فوق ما هالهم، و أعظم مما راع علمه جهالهم، و أعزّ من أن تطرد سرحها ذئابهم، أو يطير إلى شهدها ذبابهم . و لكن قدر سبق، و قضاء من

تاريخ ميورقه، ص: ۸۰

الخالق فيمن خلق، و مدّة انقضت، و مشيئة نقضت عرى تلك المدينة الحصينة فانتقضت.

فجاؤوه بالقصة مخاطبين، و لهدى الهدون خاطبين، و قالوا غزوك ميورقة طمع فى غير مطمع، و هذه بلاد الإسلام منك بمرأى و مسمع، و أيها غزوت أمكنك فيه عمل، و تمّ لك منه أمل، فراجع نظرك، و اقبل ممّن حضرك، و إن أنت على رأينا عزمت، و طلبت/ ۱۲/ عوضا من المال فى الوجوه التى التزمت، اجتمع من ذلك لك المال الجم، و انصرفت به إلى غزو ما هو أقرب و أهم.

فزجرهم عن هذا الرأى، و نهاهم أن يتكلموا به أشدّ النهى، و مضى على عزمه فى الاستعداد الذى لم يفتر عنه ساعة، و لا أخرج عن فرضيه العينى و الجملى واحدا لا جماعة، حتى استوفى النخبة من الرّجال و الأجناد و الزعماء، و تمّ له ما أراد من جيش البرّ و عسكر الماء .

تاريخ ميورقه، ص: ۸۱

سبب اختلاف الرّعية الجانى على البلد أعظم البلية

قد تقدّم أن أكثر مدّة هذا الوالى كانت صفوا بلاد كدر ، و نفعا دون ضرر، و أن أمور الرعية كانت عنده مرعية، و سياسته لم تزل سديدة مرضية، و ما نقم منه إلّا ازدياد من الدّنيا و حطامها، و انقياد من الأطماع فى خطامها . فلما تمّ على قومه من الخلع بالأندلس ما تمّ، و ورد عليه من الخبر ما انزعج له و اهتم، أوى إليه طرداء منهم آواهم، ورقّ لبلواهم، فأشاروا عليه بالاحتراس، و حملوه على إساءة الظن بالناس، و انضم كل ذى حى إلى حيّه، و نقل صاحبه إلى مثل رأيه، و هم قوم لهم الأفئدة غلاظ ، و كل منهم على غير صنفه حنق مغتاظ، و قد وتروا فهم يعضون الأنامل حسرة، و يرون/ ۱۳/ التأثير فى أهل الجزيرة ثؤرة. فدبّروا حصول هذه الغاية، و دبّوا بين الوالى و بينهم بالسعاية، و قرّروا عنده أنهم يبغضون القبائل، و ينصبون لهم الحبائل ، و أنهم إن أهملوا أوقعوا بهم فى الأموال و الأنفس، و فعلوا بهم ما فعله أهل الأندلس.

تاريخ ميورقه، ص: ۸۲

و ما زالوا يظهرون عنده على ذلك شبها، و يغرونه بالقوم ظلما و سفها، و حرصا إلى أموالهم و شرهًا ، حتى غلبوا صبره، و أوغروا صدره ، و قالوا له يوما إنّا وترنا أعظم الترة، و أصبنا بالمصيبة الظاهرة غير المستترة، فأقر عيون أعياننا، و أعطنا أجناد الأندلس لنقتلهم بإخواننا، فقال ليس هذا من شأنى، و لا آخذ البرىء بذنب الجانى، و كيف أجرى هذا المجرى، و الله يقول "وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى ."

فأعادوا الرغبة حتى أيأسهم، و أظهر أنّه يكره مجلسهم، فقاموا عنه غير راضين، و ما زالوا على الإيحاش له ماضين ، حتى احتجب عن الناس، و بالغ فى الاحتراس، و أجلس أحد بنيه للأحكام و هو حدث معجب ، و عذيق لا مرجّب ، فساءت الأحوال، و ابتدأ الزلزال ، و رحل الحاضر

تاريخ ميورقه، ص: ۸۳

و حضرت الأوجال، و وصله شيطانان دلّاه على أمور، و دلّياه بغرور، و قالا إن الرعية قد استضافت أرض المخزن إلى أرضها، و ملكت كل البسائط بتملك بعضها، و نحن ننقصها من أطرافها ، و ننقضها باستصرامها.

/ ۱۴/ فأخرج أحدهما لذلك من يومه، و ضمّ إليه ظلوما من قومه، فدخلت على الناس أعظم داخلة، و حاروا بين أعمال من الجور متداخلة، و رفعت إليه هذه الظلامة فنجه الرّافع، و وجّه الوعيد الرّابع، فيئس الناس من الإشكاء، و كانت لهم أموال و ضنّوا فى خالصها على الشركاء.

تاريخ ميورقه، ص: ۸۴

حديث ما كان بالجزيرة من النظر حين ورد بحركة الرّوم صحيح الخبر

و فى سنة ست و عشرين و ستمائة (۶۲۶ ه) اشتهر أمر هذه الغزوة، و تواترت الأنباء بها من الأندلس و العدوة ، فتحرّك الوالى للاستعداد، و أخذ أهل الجهات بأهبة الجهاد، فعرض و كتب، و دبّر و رتب، و ميّز من قومه و من فئة الأجناد نيفا على ألف فارس و من فرسان الحضر و الرعية مثلهم و من الرجّالة ثمانية عشر ألفا، فكمل ذلك على الحال الحسنة، و ذلك فى شهر ربيع الأول من السنة .

ثم استدعى أهل البوادى فى شعبان ، و لم يرخص فى التخلف لأحد كائن من كان، فنفروا إليه جميعا، و أمرهم بنقل الأطعمة إلى البلد فنقلوها سريعا. ثم ضبط المراسى بالرّجال، و أذكى العيون بمرابض السّواحل و مرابئ الجبال، و قدّم على كل جزء قائدا و ناظرا، و جعل كل ما يحتاج عند/ ۱۵/ حضور القتال حاضرا.

فانتظر الناس عدوّهم فی تعبئة تسرّ الناظرین ، و رجوا نصر الله و هو

تاریخ میورقه، ص: ۸۵

خیر الناصرین، و قومه یریشون و یبرون ، و یستغشون و لا یبرّون ، و یغلون فی الأمر أشد الغلو، و یغلّون یده عن الإعداد للعدو، و یقولون إنّ ما تسمع من حرکته محال لا یکون، و الخطب فیه مع ذلک یهون. إنما الدّاء أعداء منهم لک مکتنفون، و بدون دمک لا یکتفون، فبادر الرّمی قبل أن تغلب علی نشابک، و تغدّ بمن یرید أن یتعشی بک .

و کانت الجماعة الأندلسیة سخنة أعینهم، و مضغة ألسنهم، فطلبوا من الوالی أن یحظر علیهم حمل السیوف، و یأمر بتقلّدها أهل القعود بداره و الوقوف ، فخرج بذلک أمره، و ظهر من خلل الرّماد جمره، و أوحشت تلک الحالة، و کثرت فی ثقالی الفریقین القالة.

تاریخ میورقه، ص: ۸۶

ذکر الثورة التی کانت باکورة البطشة الکبیرة و أوّل بلاء نزل من السّماء علی الجزیرة

لما ارتاع هؤلاء الأجناد، و سعی فی صلاحهم الفساد، و هالهم ما بینهم و بین طائفة الوالی من الخلاف، و تقرّر عندهم ما یراد بهم من الإتلاف، اجتمعوا إلی قائدهم و کان سمح الخلیقة، حسن الطریقة، و شکوا إلیه/ ۱۶/ ما دهم و دهی، و قالوا إن أمد الصّبر قد انتهی، و إنما نحن مصبّحون أو ممسّون ، و کیف تخفضنا السفلة و نحن الأعلون. فلم یقبل مقالهم أولا، و قال لعل فیما بلغ متأولا، و ما زالوا یحذرونه الغوائل ، و یأتونه علی الأمر بدلائل، حتی خاف علی نفسه، و عاد یومه خلاف أمسه، و بدت البغضاء، و زال الإغضاء ، و تمّ القضاء.

و عزموا مع القائد أن یطوّقوا و الیهم السّیف، و دبّروا أین و کیف، ثم اتبعوا رأی مشیرهم المشیح ، و عزموا أن تکون الرّاحة منه فی صلاة الترویح . فلم یقض الله لحیلتهم أن تکون متوجهة، و لعلّه لم یرض أن تکون قتلته بالقتلة الفاروقیة متشبّهة، فإنهم لما عیّنوا اللّیلة و الساعة، و قدّروا لفنکة تاریخ میورقه ؛ ص۸۶

تاریخ میورقه، ص: ۸۷

الجامع الجماعة، خرج منهم إلی أحد بطانة الوالی من سری إلیه بالسرّ، و کشر له عن ناب الشر ، فرفع إلی الوالی الخبر، و قال له الحذر الحذر، و انتشر الأمر فماج الناس، و هاج الوسواس، و قیل للقائد قد افتضحت القصة، و بصحة الأمر علیک لا تکون لک فی الحیاة حصّة، و لیس أوان أناتک، فاحتل بالنجاة لنجاتک.

فرکب بحد فلیل، فی عدد قلیل ، و خرج یعثر فی ذیل الویل ، و أتبعه الوالی قطعة من الخیل، و کان قصد البادیة مستجیرا و مستجیشا ، و لو بلغهم لکان غیمه مرشّا و جناحه مریشا، لکن/ ۱۷/ أدرک و بینه و بینهم فرسخ، و باشر عند حیاته قاضی الحمام فقال یفسخ، و عفّی ذلک الرّبط، و عفّر ذلک الرّهط، و حطّت رؤوسهم عن الأجساد، و رفعت فوق الصّعاد، و طیف بها فی الشوارع، و تطاول قوم الوالی لإنزال القوارع.

تاریخ میورقه، ص: ۸۸

و قبض علی جماعة من الجند حصلوا فی السجون مودعین، و بالمنون موعدین ، و جاءهم الیوم العبوس ، و حیزت منهم الأموال ثم حزت الرؤوس، و سحبوا إلی السّور و نصبوا علیه، و سلبوا حتی من ستر ما یحرم النظر إلیه. و کان فیهم واحد من أعیان البلد و فضلائهم صلّی بما صلّوا، و حصل حیث حصلوا. ثم إن الوالی أخبر أنه قد اکتفی فکف، و أظهر أنه عفا و عن الدّماء عف، فأهدی الأمان، و أهدر ما کان، و لم تکن لأزمنة أمانه عدّة محسوبة، بل و لا مدّة محسوسة ، إنما کان ینبذ به الاحتیال علی الاغتیال ، و ینسخه قبل التمکن من الامتثال، فقتل ناسا، و أظهر من الفظاظة أجناسا.

و أتی برجل نجار، و کان بینه و بین القائد علقة جوار، و کان قد اطّلع علی سرّه، و أراد الناس قتله خیفة شرّه، و لم یأمنوا أن یسم بریا

بظلمه، أو یسمّی أحدا فلا تعمل الرّقی فی سمّه، فحین حضر عند الوالی و استنطقه، تکفل له بالصدق إن هو أطلقه، فقال تکلّم فأنت طلیق، و أقبل علیه و هو بالاختلاق فی ذلک الموقف خلیق ، فأطال نجواه،/ ۱۸/ و معه مداد و درج کتب به کل ما أملاه، فحینئذ ساءت الظنون، و انتظر ما یکون، و انهل وبل البلاء، و سال غیم الغماء ، و بلغت القلوب الحناجر ، و اتهمت العیون

تاریخ میورقه، ص: ۸۹

المحاجر ، و بعد أن أسمعه النجّار ما أسمعه، قتله و ثلاثة معه، و کان وجد بدار القائد عیدان منجورة، ظنّ أنها للثورة مدخورة، و قدّر فی النجار لسوء بخته، أنّها من عمله و نحته، فقتل بها ضربا و شدخا ، و اقتدح منها زند المنیة فکانت عفارا و مرخا .

تاریخ میورقه، ص: ۹۰

قصّة الغراب و تجهیزه بالحث و توجیهه فی البحر للبحث

و أثناء ما ذکر کانت أخبار العدو تزید، و قضاء الله ینفذ کما یرید، فرأی الوالی أن یجهز غرابا یصل غدوّه بمسراه، و یذهب حتی یعاین مجتمع العدو فی مرساه. فزجر منه أشأم طائر ، و زجّی منه واردا غیر صادر، فإنه بعد أن شارف المجتمع، و قارب أن یری و أن یسمع، عصفت علیه ریح ردّته، و لو لا کمال عدّته لأردته، و ما زالت تقلبه ظهرا لبطن، و تغلبه علی اختیاره و هو من أمر العطب علی غیر أمن، حتی انتهت به إلی غایته الشقیة، و رمت به بنشکلّة قاصیة الثغور الشرقیة. و هنالک تورّط فی الساحل، و عنّی جوابا علی السائل، و أخذ أهل/ ۱۹/ بنشکلّة جمیع عدده، و جاء النصاری فأضرموا النار فی جسده، و کان صحیفة استعجمت و عهدت مقروءة، و عینا لمیورقة أصبحت مفقودة مفقوءة .

تاریخ میورقه، ص: ۹۱

و فی أثر الغراب أرسل الوالی سلّورة منجحة، نفضت علی فضاء البحر أجنحة ، و خرجت تستوضح الأنباء المشکلة، حتی انتهت إلی وادی کونة المجاور ثغر بنشکلّة. و عدم ذلک الساحل الحیاطة فاعتمدته بحطّ، و أسرت فیه من الرّوم تسعة رهط ، ثم انصرفت بتسعتها ، تقتادهم بنسعتها ، و سئلوا بمیورقة عن الجمع فقالوا قد تکامل للنهوض لمرساکم، و کأن به قد صبّحکم أو مسّاکم .

ثم عزّز الوالی من صغار القطع الحربیة بثالث، و أمره بالاستجلاء لحقیقة کل حدیث حادث، فصادفت ریحا حرج البحر بحرجفها ، و قطع القطعة عن طریق تعرّضها و تعرفها، و رمت بها سردانیة فأغارت فی سهلها،

تاریخ میورقه، ص: ۹۲

و أخذت خمسة من أهلها. و لما استفهمهم الوالی أحال بعضهم فی الشهادة علی النفی، و اعتذر بالانقطاع و النّأی، و بعضهم قال إنّ أهل أرغون فی هذه السنة لا یتفرّغون، و هم ببلدهم شاتون، و فی الربیع المقبل آتون.

فقبل الوالی هذه التوسعة، و استخشن الهیجاء و استحسن الدّعة، و أذّن فی الناس أنّ العدو غیر وارد، و المثلثة فی القعود علی رأی واحد، و سارّ أهل البادیة و سرّهم، و برّأهم من/ ۲۰/ مسألة القائد و برّهم، و أذن لهم فی الرّجوع بقضّهم و قضیضهم ، و خلا منسک الإمساک من منفضّهم و مفیضهم، و إنما أراد أن یفرق الرّعایا، و یظهر ما خبّأ من البلایا.

تاریخ میورقه، ص: ۹۳

بیان ما أحدثه الوالی ممّا أضرم نار الحرقة و أبرم أسباب الفرقة

و عند خلاء الجو، و جلاء أهل البدو، ثارت أراقم ضغنه، و کرّ بالأبطال علی نصّ أمنه، و أمر صاحب شرطته أن یأتیه بأربعة من کبراء المصر فساقهم، و حین حضروا عنده ضرب أعناقهم، فطرحوا بالعراء، ثم أخرجوا علی هیئة فرطهم من الإعراء. و کان فیهم ابنا خالة، کانا فی البلد علی أحسن حالة، و خالهما أبو حفص بن شیری ذو المکانة الوجیهة، و الموطّن لنفسه الکریمة علی الکریهة ، و سیأتی

ذكره فى حصار الجبل، و ما كان له فيه من سداد الرأى و العمل. فأما أحدهما فجزع عند قتله، و أما الآخر فصبر صبرا ما عهد من مثله، و كان لا يخلو عن طهارة الحدث، فاستقبل القبلة غير مكترث، و دخل فى صلاته و قرّ، و ضربته السّيوف حتى خرّ.

و عند ذلك ضاق الرّحب، و عظم الرّعب ، و تعاور جثث القتلى من الحركات الجرّ و النصب، فضاق الذرع بالمكروه، و فرّ إلى البادية كثير من الأعيان/ ۲۱/ و الوجوه، و اجتمعوا بابن شيرى فأخبروه بما نزل، و عزّوه فيمن قتل. و قالوا هذا أمر لا يطاق، و نحن كل يوم إلى الموت نساق، فإن تداركنا الأمر ببقية الذّماء، أو شك أن نخلص من هذه الغماء، و إلّا فزرعنا حصيد، و ما منّا إلّا من هو بشرك الشر مصيد ، و كيف لا نثقف فى الرأى أحسن تثقيف،

تاريخ ميورقه، ص: ۹۴

و لا بقاء لكوفة كفاتنا مع مبيد ثقيف ، و عاهدوه على طلب الثأر، و عاقدوه على الإنجاد بأهل الأنظار، و بات الوالى تلك الليلة يقلّب يديه ، و ينظر فيما لديه، و يرى أنّه قد توسّط من الشر لجّة ، و ناظر بحجّة السّيف و حاذر مثلها حجّة.

تاريخ ميورقه، ص: ۹۵

حديث مفاجأة الأسطول و إطلاله على الساحل للنزول

و أصبح الوالى يوم الجمعة منتصف شوال، و الناس من خوفه فى أهوال، و من أمر العدو فى إمهال، فدعا بصاحب شرطته المنزوع الحياء و الرّحمة، و أعطاه بطاقة بخمسين من أهل الوجاهة و النعمة، و أمره بإحضارهم، و عرّفه بأنه فى انتظارهم. فانقض عليهم بذئابه العادية، و كلابه العاوية ، و حشرهم و هم سكارى من الذعر ، أسارى فى يد القهر ، قد نزلت بهم النوائب، و قامت عليهم النوادب، فاليوم عصيب و الرّيق عاصب ، و خصاب الحياة ناصل/ ۲۲/ و همّ فراقها ناصب، و حضروا بدار الوالى و قومه قرمون للحومهم، منتقمون من كرمهم بلومهم. حدّث بعضهم أنّه كان يرقب عين المنية متى تنظره ، و يروم قراءة آية من القرآن فلا تحضره.

تاريخ ميورقه، ص: ۹۶

و بينا العيون شاخصة، و ظلال العيش قالصة، و أيدى المنون قابضة قابصة ، و عين الرّدى حارسة، و شجاجه باضعة و حارصة، أقبل فارس على هيئة النذير العريان ، و ظن الناس أنه يحدّث من عصيان الرعية عن العيان، و دخل من ساعته على الوالى فسأله ما الخبر المزعج، و لم هذا العدوّ المرهب المرهج ؟ فقال قد جاءكم الرّوم، و هذه طيور مراكبهم على الساحل تحوم، و ما جئت بالقلب المروع، حتى عددت فوق الأربعين من القلوع.

و ما فرغ من إعلامه، و لا انقضى آخر كلامه، حتى جاء آخر من جانب آخر ، و قال إنّ أسطول العدو قد تظاهر، و أنّه عدّ سبعين شراعا،

تاريخ ميورقه، ص: ۹۷

و رأى السفن لجانب البر سراعا، فصحّ الأمر عنده بما انضمّ من القرائن إلى الأنباء، و بقى مترددا فى الجماعة بين القتل و الإحياء . ثم عزم على استبقائهم، و أمر باستدعائهم، فسمح لهم بالصّفح و العفو، و عرّفهم بخبر العدو، و أمرهم بالتجهز للغزو، فخرجوا إلى دورهم، و كأنما أنشروا من قبورهم . و تقدّم الوالى بالتنوير فى البرج المنيف، و جعله فى استنفار الرعية علامة هى مناط التكليف، فقال الناس نار وراءها جندلة المراجم ،/ ۲۳/ و وافدها وافد البراجم . و إنما أراد أن يوقع فى شرك شررها، و تتم له حيلة تبسّطنا من

تاريخ ميورقه، ص: ۹۸

تبصّرها، فما عشى إليها عاش ، و لا بات أحد إلّا و قد غشيه من الذّعر غاش.

ثم جاءهم ثقاتهم فى الخبر بالثبت، و ذلك فى اليوم الثانى الذى هو يوم السبت ، و فيه وصل بعض الأجراء الساحلية، فحققوا أنهم عاينوا العدو فيما يليهم من البحر مارا، و لكتائبه البحرية الحربية جارّا، و انّهم عدّوا من القلوع مائة و خمسين ريحها رخاء ، و عدوها

فى تلك الأرجاء إرخاء ، فدلّ طريقهم أنهم يؤمّون جهة مخصوصة، و يقصدون المرسى المعروف بشنت بوصة .

تاريخ ميورقه، ص: ۹۹

خبر الرّوم حين تأهّبوا بالمرسى المذكور و تهيّأوا من عبره للعبور

لما اصطفت هنالك الكتائب، و اصطافت القطع و المراكب، و آن أن ينزل الفارس و يركب الرّاكب، و ذلك فى آخر شهر رمضان من السّنة ، ورائد الأنواء يشكّك فى الأمنة، و يقضى بما يكون فى المستقبل قضاء الكهنة، رأى الرّوم الرياح متخالفة، و رجّة البحر لسكونه خالفة، و قالوا شهور القيظ قد انقضت، و مدّة سكون البحر قد مضت، و بروق هيجانه قد أو مضت، و لا يخفى أن الفصل مخيف، و كيف الإقدام على سفر بحرى خفيره الخريف، و ما من مجتهد إلّا و بحظر/ ۲۴/ هذا السفر قد أفتى، و إذا

تاريخ ميورقه، ص: ۱۰۰

لم يتأت الآن فنتركه إلى أن يتأتّى.

فمشوا إلى ملكهم على أن يطلبوه بأحد الأمرين: إرجاء السّفر إلى الرّبيع إذا جاء ، أو الانصراف بالغزو إلى أى بلاد البرّ شاء، فلمّا دخلوا عليه سبر معوّلهم، و سبق بالكلام أوّلهم، و قال حضرتم على غير وعد، و قد أردتكم لما أعهده إليكم من عهد. ثم قال إنى لوجهى هذا ماض، و برضّ المشاق فيه راض، و لست آمن من الاخترام، قبل الظفر بهذا المرام، و خرّج إن مات على أولياء الطاغوت ، أن يضعوا جثته فى التابوت ، ثم يركبوا السفين، و يحملوا معهم الدّفين، و يرحلوا به عند الرحيل، و يقدّموه وقت القتال فى أوّل الرّعيل ، فإذا أخذ البلد واروه فى تربته، و قضوا بذلك ذمام صحبته، و قال هذا عهدى إليكم فأنفذوه إن كان التثليث معتقدكم، و ليت تماثيل أهل الإنجيل متعبدكم.

ثم حلف بالولد و الوالد، و المتكثر غير الواحد ، إن عاش فالرّاحة

تاريخ ميورقه، ص: ۱۰۱

منه مطلّقة ، و مراجعتها بشرط أخذ الجزيرة معلّقة، و أنّه إن تمكن من برّها فلا يفارقه حتى يملكها، أو تصادف نفسه دون ذلك مهلكها، فلما بلوا ما عنده، و وعوا أليّته و عهده، اتفقوا على إسعاده، و تعاهدوا على ترك مرادّته و مراده، و بقوا على البحر يرتقبون إجازته، و ينتظرون أن يقطعوا بركائب المراكب مفازته.

تاريخ ميورقه، ص: ۱۰۲

عاد الحديث عن إطلالهم على البر و إطلاقهم أعنة الشر

/ ۲۵/ و لمّا طاب البحر للمسافر، و اغتنم الكابر الحرد سجاحة الكافر، فركب بجمعه، و لجّ حتى لجّج فى قطعه، و حين أتم العبور، و قصد بنزوله المرسى المذكور، أخرج الوالى جماعة تسدّ تلك المسالك، و تمنعهم النزول هنالك، فباتوا على المرسى فى الرّجل و الخيل، و أجفان الرّوم سطور تمنع قراءة سوادها سواد الليل.

و بات المقدّمون على الجماعة و هم من قوم الوالى يتجارون المنكر، و يتهادون المسكر ، و هم بالمعاقرة عارفون، و للمقارعة عائفون، و قال لهم الناس إنّ هاهنا مرسى آخر ، و لا نأمن أن يقصده الرّوم فعزمهم ساهر، و الليل لهم ساتر، و إن جاؤوه و لا حامى له نزلوا بساحته، و حصلوا على استباحته، و الرأى أن تكون هنالك جماعة تذكى العيون و تمنع هذا المتوقع أن يكون، فزجرهم أولئك المقدمون، و قالوا كيف تنصحون و أنتم المتهمون .

فلما جن الليل على النصارى ذهبوا كما قدّر، و تأتى لهم النزول حيث ذكر، فنزل منهم تلك الليلة بذلك المرسى خمسمائة فارس و عشرة آلاف راجل، فأصبحوا هنالك فى الثامن عشر من شوال، و هو يوم الاثنين، و سار إليهم الجمع و لا رغبة/ ۲۶/ لهم فى إحدى

الحسنیین، فحین رأوهم

تاریخ میورقه، ص: ۱۰۳

تهیّأوا و حاموا، ثم تهیبوا و خاموا ، فاندفعوا أمامهم، و قصّروا فرکب الرّوم قصرهم و هامهم، و اتبعوهم أمیالا، و أخذوا لهم خیلا و قتلوا منهم رجالا.

و کانت هذه الهزیمة أول البلایا ، و فاتحة الرّزایا، و عنوان الشرّ النازل، و ابتداء المرض القاتل، و خلا للرّوم وجه الساحل فتوافوا عنده، و نزلت بقیّتهم بقیة ذلک الیوم و لیلة الثلاثاء بعده .

تاریخ میورقه، ص: ۱۰۴

حدیث الوقعة الکبری

و عندما انتهی إلی البلد ذلک الفل ، و استقر بجمع الروم ذلک المحل، عزم الوالی علی النهوض لقتاله، و حشر من غاب و حضر من فرسانه و رجاله، و خرج و حاله عن المآل تترجم، و أمره یقضی بنحسه من لا ینجّم.

فرغب الناس منه أن یتأنی قلیلا، و یجعل بین البلد و بینه میلا، و یتربص بالرّعیة نزول نازلها، و تفرّغ حالبها و ناقلها، و تأتّی الاستظهار بفارسها و راجلها.

فتصلب فی مناجزة أهل الصلیب، و مشی علی غیر نظام و لا ترتیب، و معه من الفرسان ألفان إلّا مائتین، قلیلون بالمعنی کثیرون فی العین، فأمّا الرّجالة فکانوا عشرین ألفا، أکثرهم ما شهد زحفا، و لا حضر من مصاف القتال صفا.

و بات بهم لیلة الثلاثاء فی منزل نزله،/ ۲۷/ و قد ولّی من حاکم الاستبداد ما عزّه ثم عزله، و رکب إثر صلاة الصبح، و عارضه لا تبدو منه مخیلة النجح ، فکان دأبه فی مشیه أن ینادی قومه المرّة بعد المرّة، و یستطعم ما عندهم لیوم الکریهة المرّة ، و إذا لقوا العدو فکیف یجالدون، و بأی عزم یجاهدون ، فیجیبونه بأنهم یثبون إلیهم و یثبتون لمثلیهم، و یشربون کل جنان حب الحفاظ، و یشرعون کل سنان إلی تلک الأفئدة الغلاظ، حتی دنا من عسکر الرّوم، و معه ألف الغیران وقفا المهزوم.

تاریخ میورقه، ص: ۱۰۵

و هنالک جاءه فارس أخبره أن جمع العدو فرق ففرّ، و ذعر فابذعرّ ، فالتفت إلی قومه و قد ساءه انهزام الرّوم بغیرهم، و ذمرهم علی التباطؤ فی سیرهم، فتبادروا لتنسب إلیهم الهزیمة، و تکون لهم الغنیمة. و کانت هنالک عقبة عرض علیه الناس أن یقف علی رأسها، و یبنی أمر الحرب علی أسّها، فأبی إلّا النزول للنزال، و الهجوم علی اللیوث فی الأغیال ، و اعتمد من سعد یومه ما کان حبلهم المبرم، و جیشهم العرمرم. ثم إنّه استوقف العسکر، و نزل فلبس الدّرع و المغفر، و تقلّد الأبیض و اعتقل الأسمر، و رکب بین الرّجالة، و معه صورة الجزالة، و ظهرت للرّوم طلائع أصاب المسلمون فیهم فرصة، و حاصوا أمامهم فاقتطعوا منهم حصة.

و برز صاحب طرطوشة و کان قد احتفل لهذه الغزوة، و استظهر بالعدّة/ ۲۸/ و القوة، و سرّح بکل مارد مازج، و سبح فی بحر من الحدید مائج. و یزعم النصاری أنّه کان قد أنذر قبل دخول الجزیرة بأنه یموت فی وقعتها، ثم یکون استیلاؤهم علی بقعتها، فحمل بجماعته، و شد بالعصاة من

تاریخ میورقه، ص: ۱۰۶

أهل طاعته ، فسلّوا السّیوف و استسهلوا الحتوف، و أبصر الذین شقوا موقف الوالی فشقّوا إلیه الصفوف، و أفرج المسلمون لهم حتی توسطوهم، ثم ضربوهم بالسیوف حتی فرشوهم علی الأرض و بسطوهم . و حمل جماعة من الرعیة علی ما یلیهم من الصف فقرعوا نبعه، و فرعوا هضبه، و خسفوا وثیق البنیان، و کشفوا فریق الصّلبان.

و بینا بحر الحرب یعبّ، و ریح النصر تکاد تهبّ، جاء الوالی أحد قومه و قال إن الرّوم قد احتدم ثأرهم، و زخر تیّارهم، و قد حدّقوا

زرق الأسل، و حلفوا لأخذ هذا الجبل، و إن ملکوه سفلنا بصعودهم، و صرنا نقدا لأسودهم، فتوقّهم بتوقّله ، و خذ أعلاه و تخلّ عن أسفله . فراطن قومه أن یستتروا بجنّته ، و یتقوا وقع القنا بقنّته ، فأجفلوا إلیه کالظلمان ، و أرادوا الاعتصام به من ذلک الطوفان ، فانتقضت تلک العزیمة، و حسب الناس أنها الهزیمة، فولّوا الدّبر، و عظم الخطب و کبر، و کلّ من صعد الجبل لم یمکث

تاریخ میورقه، ص: ۱۰۷

فیه فواقا، و انحط عنه فرارا و أزمع له فراقا.

و کان الرّوم قد اتبعوا منهزمتهم/ ۲۹/ لیردّوهم، و أرادوا أن یقطعوهم عن الطریق للهرب و یصدّوهم، فخلأ الفریقان المعترک، و هرب الذی هرب و ما رهب الدّرک، ثم إن الرّوم تراجعوا فوجد واردهم المحلأ محلّا، و أصابوا الجو خالیا و السّلاح مخلّا، و اتبعوا المسلمین علی طریق المدینة و هم عنها عائجون ، و إلی الفتن عارجون ، فلذلک قلّت فی هذا الزحف قتلاهم، و تلاحق فی النجاة آخرهم بأولاهم . و لم ینجح منهم أحد إلّا أعزل أکشف، و لا کان فیهم من أبقی بیده و لا علی جسده الدّرع و لا المرهف، فاحتوی الرّوم علی کل ما طرحوا، و جالوا بقیة یومهم هنالک و سرحوا، ثم ظهروا بالعدة و العدد، و أقبلوا لحصار البلد.

تاریخ میورقه، ص: ۱۰۸

قصّة الحصار و ما حفظ فیه من الأخبار

و ارتحل النصاری إلی المدینة، و نزلوا منها علی الحریبة الحزینة، و أحاطوا بها فی الکثر و القل ، و نزلوا علیها من جهة باب الکحل ، فضربوا الأخبیة و ضمّوها، و أکملوا أهبة النّزل و أتمّوها، و رتبوا فرسانهم و رجّالتهم، و أقبلوا بالسفن فجعلوها فی البحر قبالتهم، فملأت ذلک المهرق سطورها، و أرخیت علی وجه الماء ستورها. و کان الشتاء عن نابه قد کشّر ، و الفصل لملاء غیمه قد نشر، و الوقت مظنّة/ ۳۰/ ارتجاج البحر العجاج، و إقبال أفواج

تاریخ میورقه، ص: ۱۰۹

الأمواج، فما لعبت أیدی الرّیاح بتلک الرخاخ، و لا لغبت تلک النعم المعقلة فی ذلک المناخ.

ثم إن الرّوم أقاموا المجانیق، و أحکموا بناءها الوثیق، و صنعوا منها ثلاثة قائمة فی الهواء، قاصمة بالدّاهیة الدّهیاء ، مظهرة قطع الجبال طیرا مسخرات فی جو السّماء، ترمی فوق العشرین ربعا، و تملأ القلوب رعبا، و کان رمیها داخل البلد فأخلیت جهة وقع حجارتها، و تنحّی المزور عن طریق زیارتها، و عدلوا عنها إلی أقل حجما، و أقتل رجما، و أمطر سحابة ، و أکثر إصابة.

فکملت فی الأیام القریبة، و منی البلد منها بالأیام العصیبة، و الرّزایا المصیبة، و کان رماتها أخذوا قراءة الرّمایة عن القارة، و رموا منها عن القسی الصقارة، فاستعملت فی ترکیب السّور طریق التحلیل، و جاءت بما لا قبل به من الخطب الجلیل، و تمکّن الدّاء من ذلک الجسم المعتل، و اشتکی البناء من الحجر المنهد بالحجر المنهل، و عزائم المسلمین فی القتال ثبتت و ما انثنت، و قوتهم ما وهت و لا وهنت.

و کانت لهم علی باب الکحل قنطرة یخرجون علیها إلی العدو، و یمنعونه من التبسط و الدنو، فرأوا هدمها مکیدة، و حسبوا زوالها منفعة عتیدة،

تاریخ میورقه، ص: ۱۱۰

و اتفقوا علی تعطیل تلک المسلحة ، و غفلوا عمّا کان فیها من المصلحة.

فإنهم لما هدموها تعذّر/ ۳۱/ علیهم الخروج، و أحاط بهم العلوج ، و خلا لهم ذلک السبیل فسلکوه، و أخذوا البناء الذی کان بطرف القنطرة فملکوه.

و لمّا رأوا أنّ ضرب المجانیق و إن هتم و هتک ، و فتّ و فتک، و أنهب أکثر مما ترک، لا یوصل صلالهم إلی الوخز، و لا یمکّن

لصوصهم من فک الحرز، دلفوا إلی البلد برکب الکرب، و ترکوا ظاهر السّور للمرسی و طلبوا باطنه بالنقب، فحفزوا و حفروا، و توافوا علی الجدّ و توفروا، و أجنّت منهم أطیاف الثری أشباه الجنّة، و سکنوا بطون التراب أمثال الأجنة، من کل ضب کضب فی مغارته، و شانئ شانّ تحت الأرض لغارته، منجحر کالصّلّ فی الصرّ، مستکن فی صدر الثری کالسر، سار فی تلک الظلمات، ساکن و هو من الأحیاء منازل الأموات.

و کان خندق البلد قد أحکم خرقه، و عظمت سعته و عمقه، فقدّروا

تاریخ میورقه، ص: ۱۱۱

أنّهم قد نزلوا تحته، و أخذوا إلی جهة البلد یؤمّون سمته ، فأخطأوا طریق ذلک المغلق، و أفضی بهم النقب إلی جانب الخندق، فانبجست به ینابیعهم، و خنست منه یرابیعهم، و حینئذ مالوا إلی السّفل بالحفر، و هوی فی تلک الهاویة من کان هنالک من شرذمة الکفر .

تاریخ میورقه، ص: ۱۱۲

حدیث اجتماع أهل البادیة لإصراخ الحاضرة و مناجزة فئة الکفر الحاصرة

/ ۳۲/ و ثابت إلی الرعیة سکینتهم، و أنفوا من أن تحصر مدینتهم، و قالوا أنسلمها للعدو و لنا القوة و الجلد، و فینا العدّة و العدد؟ و لو قرعناه لقلعناه ، و متی أردناه طردناه، و جمعوا و حشروا، و طووا و نشروا، و انظموا و التأموا، و تلبّبوا و استلأموا ، و أرسلوا إلی الوالی أن ابعث لنا رجلا نکون طوعه، و نأمن من روعه، فندب لهم من قومه مشهورا بسوء البخت ، مشهودا له عند البحث بالجبن البحت .

فلمّا دنا بهم من عسکر الرّوم هاج به الخور ، و هاله قبل الخبر الخبر ، و فرّ عن القصد المروم بالقلب المروع، و فرّق تلک الجموع بفرقه المجموع. و هذا الشخص هو الذی أشار علی الوالی یوم الوقعة الکبری

تاریخ میورقه، ص: ۱۱۳

بالإسناد فی الجبل، و الاستبداد بذلک العمل، و کان ذلک سبب الکسرة الخاصة بالبلد، الحاصّة أجنحة المدد، و بقیت الرّعیة علی نصرة البلد حراصًا، و رجت أن تجد له من أسر الحصر خلاصا.

فأعادت علی الوالی رغبتها تلک، و اقترحت من بنیه من ینظم ذلک السلک، فأبی غیر ذلک المشؤوم، و أخرجه ثانیة لمناجزة الرّوم، فلما رأوه تشاءموا بوجهه، و همّوا بنجهه . و طلبوا من الوالی غیره فما أسعفهم، و أعادوا الرّغبة علیهم فعنّفهم، و لمّا برز بهم/ ۳۳/ هذا القائد الواهی رکنه، المجرّب شؤمه و جبنه، مشی بأنکد جدّ، و أنکل حد ، و دنا من العسکر فی العدد الأکثر، و الجمع الأوفر، و نذر بهم الرّوم فرکبوا تلقاءهم، و قصدوا لقاءهم.

فلمّا أطلّوا من بعید ولّاهم قفاه، و أطاع مصرّفیه الجبن و الشؤم فما استوقفاه، و فرّ قبل لف الخیل بالخیل ، و جرّ علی المسلمین ذیل الویل، فإنهم بفراره انتقضت عراهم، و أعداهم ما عراه من الوهل فعراهم، و اتبعهم النصاری فقتلوا منهم مقتلة کبیرة، و أمطروا علیهم من البلاء سحبًا غزیرة .

تاریخ میورقه، ص: ۱۱۴

ذکر ابن عبّاد و مصیره إلی ارتداء الخزی بالارتداد

هذا الرجل کانت له فی الجزیرة نباهة، و عند رعیتها و جاهة، و ما عرفت منه سفاهة و لا جربت علیه إلّا مروءة و نزاهة، إلی أن برئ منه القرآن ، و انسلخ من آیاته فأتبعه الشیطان ، و خرج إلی الروم مرتدّا و ادّعی أن یرهب لهم حدّا، و دعا للرحمن من الولد ما تکاد تخر له الجبال هدّا ، و طلب منهم إمارة البلد، و التزم إسلامه إلیهم فی أقرب المدد.

فتلقوا بالقبول ردته و إرادته، و عاونوه على الشقاوة التى محقت سعادته، فطلب منهم للناس عهودا بالأمان، و كتبا بالإحسان، و صدّر كل كتاب/ ۳۴/ ببسملة، و أودعها ما يليق بكل شخص من مسألة، و خرج بها و قلبه على جرمه جرىء، و الله من عمله برىء، و جاء حيث جال بالتلابيس الإبليسية، و دعا الناس بالدعاية المسيحية، و أعدى القلوب مرضا فأزالها عن الهيئة الصحية، و أقبل بالكتب إلى تلك الكثب فانهالت و انهال عارض شره

تاريخ ميورقه، ص: ۱۱۵

على تلك الأودية، فسالت و حقق ما كان فيها من الأمل، و استفزّ باسم الله فيها من سبق له الشقاء فى الأزل، و قالوا ليس بين الدّينين تضاد، و المسىء من نصادفه و هو عن القبول صاد.

فصالحوا الروم على أداء ما كان يلزمهم، و أمضوا من هذا الرأى ما اتفق عليه أعجزهم و أحزمهم، و فتنوهم بما أظهروا لهم من كرامة يستحل قبولها الضعاف، و يستحلى طعمها و هو السمّ الزعاف، و هذا أعظم بلاء رمى به الناس، و حق به البأس. فإن هؤلاء أعانوا النصارى بالأقوات و العلف، و رفعوا عنهم ما كان أزعجهم و أعجزهم من الكلف، و اتخذوا منهم رجالا أنسوا منهم الإقبال، فناطوا بهم الآمال، و جلبوا لهم ألطافا، و هزوا منهم أعطافا، فاطمأنت بهم الدّار، و تمكن لهم الحصار. و لو لا أنهم هادوهم و هادنوهم، و سكنوا إليهم و ساكنوهم، و أمروهم فأطاعوا، و ماروهم بما استطاعوا، لانفضوا بسبب الإنفاض من الميرة ، و كان إعسارهم بالنفقة موجبا مفارقة الجزيرة .

تاريخ ميورقه، ص: ۱۱۶

نظر أهل البلد فى بعث النذر لتلافى هذا الأمر النّكر

/ ۳۵/ و لما انتهى إليهم من تلك الموافقة غير الموافق، و علموا ما تجلبه الرعية إلى النصارى من الأقوات و المرافق، أحسوا بالعذاب الواقع ، و يئسوا من الدّواء النافع لهذا السّم الناقع ، و قالوا الآن علمنا أن الإسلام مخذول و أن البلد مدخول ، و كيف البقاء و منا الدّاء، و بجيرتنا اجترأ علينا الأعداء، ثم أداروا الرّأى فى هذا الخطب الذى يتدارس ذكره، كيف يتدارك أمره؟

فرأوا أن يبعثوا إلى الرعية جماعة من وجوههم تسمعهم الملام، و تنشدهم الله و الإسلام، و تعظهم و طاغيتهم الجامح فى طلق الغواية، الطامح إلى الرئاسة القاتلة بالسّرايه، فخرجت الجماعة المندوبة، و أملها أن تصفو الحالة المشوبة، و تسكن النار المشبوبة ، فلقوا فى طريقهم من استطلعوه الخبر، و استملوا منه ممالأة من آمن لمن كفر، فقال لهم إنكم منذ

تاريخ ميورقه، ص: ۱۱۷

برّزتم من السّور ففى أرض الحرب أنتم سائرون، و لأوليـاء أهله أنتم مسافرون، فهالهم ما سمعوا، و يئسوا ممّا فيه طمعوا، و همّوا بالانصراف، و قالوا لا تلافى لما سبق القدر أن يكون سبب التلاف.

ثم إنهم قالوا أردنا أمرا، و لا بدّ أن نبلى فيه عذرا، و نبلو منه وفاء أو غدرا ، و مشوا بتلك النية، و انتهوا إلى/ ۳۶/ مجتمع الرّعية فتلقّوهم بأريحية، و حيّوهم أحسن تحية، و قالوا لقد جئتمونا فى وقت الحاجة، و قد أنضجنا من الرأى ما لا ينسب إلى الفجاجة ، و أردناكم لمباشرته فدعونا من اللّجاجة ، إنّا صالحنا الرّوم على شروط، و لا بد معهم من عقد مربوط، و نريد أن تحضروا معنا الصّلح، ليكون عقده أوثق و أصح، فقال القوم لهم معشر المسلمين لا تشكوا بعد يقينكم، و اتقوا الله فى مدينتكم و دينكم، أتخذلون إخوانكم و تولّون عنهم؟ و تتولّون الكافرين و من يتولّهم فإنّه منهم ، فكيف ترضون بهذه القطيعة الفظيعة، أولا ترون ما يؤول الأمر إليه من الخطوب الشنيعة، فقالوا لا بد من مشيكم معنا مكرمين إن أطعتم، أو مكرهين إن تمنعتم .

ثم حملوهم مستحلّين لظلمهم، و قالوا للملك هؤلاء فى حكمك

تاريخ ميورقه، ص: ۱۱۸

و البلد فی حکمهم، فحبسوا فی خباء، و حبوا شرّ حباء ، و کان فیهم خطیب المدینة فأمروا جمیعا بالکلام مع أهلها، و أن یعرض علیهم الخروج بقطیعة یقرّرون علی بذلها، فمشوا إلی البلد المحصور، و وقفوا موقف القصور، و نادوا من وراء السّور، و قرعوا للإصاخة بابا، و تکلموا و انتظروا جوابا، و استومرت المدینة قبل الاقتراع فصمتت و ما حصل رضاها، و اقتضیت التمکین من نفسها فمنعت من اقتضاها.

و عاد المذکورون و ما سمح لهم بلفظة، و لقوا من/ ۳۷/ النصاری أشدّ غلظة، و قالوا لهم أنتم لحنتم لأهل البلد بما شجّعهم بعد الجبن، و قوّاهم فی حال الوهن، و کان حردهم علی الخطیب أشد، و ظنوا أنّه لو أراد لردّ عن

تاریخ میورقه، ص: ۱۱۹

التوقف و صدّ، فهمّوا به و بهم مرارا، و فرّ منهم من استطاع فرارا، و أعید الخطیب إلی الکلام ثانیة و ثالثة، و حذر من أیدی الشرک عائثة عابثة ، و قال للوالی إن قبلت نصیحتی فاقبل من الکافر ما طلب، و سلّم الناس فکأن بالشر قد بلغ و بالشرک قد غلب، فأمره بأن یخزن لسانه، و لا یسمع أحدا ما أبانه، و لو علم الناس خفة تلک القطیعة المضروبة، لأوشک أن یغلبوه علی السلم المطلوبة، لکن کانت ملحمة کتبها الله علی أولئک الخلق، و قولا حقّ علیهم بمشیئة الواحد الحق، و صار من بقی من أولئک الأشیاخ مع الخطیب فی حکم الرّق.

تاریخ میورقه، ص: ۱۲۰

رجع الحدیث إلی أمر الحصر و ما أخطأ أهل البلد بإصابة القدر من النّصر

و لم یزل الأمر فی شدّة، و الرّعیة فی رداءة و ردّة، و السّور یخرق بکل هدّة ، و بلاء الضرب یبلی منه کل جدّة، حتی قنط الرّاجی، و کان بالیأس من النجاة التناجی، و حذر الهول و هال المحذور، و اتسعت النّقوب و ضاقت الصّدور، و تجلد المسلمون للخطب،/ ۳۸/ و أخذوا من جهتهم فی النقب، فخبطوا فی ظلمة الأرض خبط عشواء ، و صادفوا مغارات الرّوم فشنّوا فیها الغارة الشّعواء، و قتلوا عدّة من رجالهم، و صدّوهم عن مجالهم.

و قعدوا هنالک مقاعد للسّمع ، و حکموا فی جنایة النباش بعقوبة القطع، و رتبوا رجالا علی کل فوهة، و أقاموا هنالک فی أهبة غیر ذات أبّهة، و لو أنّهم متّعوا بالقوت لمنعوا، و لو حفظوا لما ضیعوا، و ما زالوا هناک فی ضیق من العیش و القرار، و عضاض مع ضباع ذلک الوجار ، حتی غلبهم

تاریخ میورقه، ص: ۱۲۱

الرّوم فافترسوا ذیابهم ، لا بل احترشوا ضبابهم ، و تمّ لهم الخلوص إلی السّور، و وجب مهر المحنة بإرخاء تلک الستور.

و کان أحد قسّیسیهم قد حلف و هو مصرّ علی مأثمه ، مستسرّ فی مجثمه ، أنه لا یبالی من الاختفاء حتی یظهر البلاء، و لا یصعد حتی ینزل البناء، فزعموا و عزموا ، و عدموا المدافع فنقبوا و دعّموا، و علم المسلمون أن النقب قد تمکن، و الإجهاز علی جرمح السّور قد أمکن، فاتخذوا بنیة یقف علیها المقاتلة، و بنوا سورا یخلف الأوّل إذا أودت به علّته القاتلة، و فرغ النصاری من أسباب هدّه، و علموا أن بأیدیهم فسخ عقده، و أنّه قنص علق به فخّهم، و عقیرة تطاولت إلیها فسحهم، فرکبوا السّلاح، و قربوا للکفاح، و اصطفوا علی الخندق، و أخذوا من البلد بالمخنق.

تاریخ میورقه، ص: ۱۲۲

و لما فرغوا من تعبئتهم، نادوا من یخرج/ ۳۹/ لتلبیتهم، فخرج الوالی بنفسه، و ضمّ إلیه من اختار من أبناء جنسه، و جاءه عمّ أبی الملک القومط نونة فسلّم، و أذن له فی الکلام فتکلّم، و قال أنت من خیار قومک، و ما أقل من نراه یلمّ بلومک، فأسلم البلد و سلّم أهله، ودع وعر الأمر و ارکب سهله .

فقال و ما الذى رأيناه، حتى نبيح ما حميناه، و نبيد ما حويناه، قال إنك إن جعلت الإبايۀ جوابا، و لم تر فى هذه الصفقۀ إيجابا، فإنّا نأخذ البلد عنوۀ، و نغتنمها غزوۀ ، و آيۀ ذلك أن فى هذه الساعۀ يسقط السّور، و ينكشف السرّ المستور.

ثم أشار بإضرام اللّهب، فيما كان تحت السّور من الخشب، فظهرت فى الوقت علامتها الصادقۀ، و استطارت من باطن الثرى تلك الصاعقۀ ،

تاريخ ميورقه، ص: ۱۲۳

و أظلم الجو من ذلك الإسراج، و سقط السّور و معه ثلاثه من الأبراج ، و زحف الرّوم إلى القتال، و ماج عسكرهم بالأهوال، و وقف المسلمون على بنيتهم، بصدق من نيتهم، فأغنوا غناء الكرام، و استسهلوا صعب ذلك المقام.

و لم تزل الكرّات تتمادى، و الجراح تتهادى، و الحديد للحديد قارع، و السّيف بين الفريقين واصل و فيهما قاطع، حتى حجز بينهما المساء ، و قد أغامت بمثار النّقع السّماء، و باكروهم القتال، و خلطوا بالرّجال الرجال، و استمرّ ذلك يوما بعد يوم، و أفنت الحرب/ ۴۰/ قوما إثر قوم، و خبايا البلايا تبدو، و المعاول فى المشيد تشدو، و نعرات المجانيق بركائب الجلاميد تحدو.

هذا ونوء الشتاء قد أمطر، و الخصر بالبرد الذى أفرط صائم ما أفطر، حتى ضنيت الجسوم، و كثرت الكلوم، و كلّ المسلمون و تكالت الرّوم، و وصلوا إلى نقب السّور الجديد، و صالوا عليه ببأس الحديد الشديد،

تاريخ ميورقه، ص: ۱۲۴

و الناس فى الأمر المريج غير المريح ، و هم من الصريخ على اليأس الصريح ، فوقع البناء الذى نقب، و حان الأمر الذى كتب، و تكلف المسلمون ليلتهم تلك بناء ما سقط، و الجهد فيهم قد حكم و قسط.

و أصبحوا للقتال الشديد، و البلاء العتيد، و كل من الفريقين يكرّ و يقدم ، و المسلم يبنى و الكافر يهدم ، حتى إن الرجل يضع الحجر فيؤخذ من يده، و يريد ضرب البناء فيقع الضرب فى جسده، فأودى الحىّ و الجماد ، و أسرع فى الكائنين الفساد، و طال بالسيف الجدال و الجلاد.

تاريخ ميورقه، ص: ۱۲۵

وصف ما جرى من الرأى المدار عند ما شامه الناس من بوارق البوار

و لما رأوا أن الخطب قد أسرف، و البلد على الهلاك قد أشرف ، و ما آلت الحال إليه من الهزل و الأزل ، و العجز عن شبّ وقود الحرب بالحطب الجزل، و لم يشكّوا أنّ ما هم فيه فبالعطب يقضى، و إلى اليأس/ ۴۱/ من السّلامۀ يفضى، كلّموا الوالى فى بقايا الأنجاد أن يحصروا و يحصوا، و يطعموا و يكسوا، و يفرغوا للقتال، و يكفوا ما عداه من الأعمال.

فاستقبح هذا الرأى الحسن، و خشى أن يستسلف منه بعض ما أوعى و اختزن، فجرى بينه و بينهم كلام أحرجه، و ملام إلى الخوف على نفسه أخرجه ، فدعا أحد كبراء قومه و خرج له عن التدبير، و أقعده مقعد الأمير، فاختار الرجل ألف راجل لذلك المعنى، و لو أتى غنى الوالى لكان قد أغنى، و طلب منه سلف مال و طعام يصلح لهذا الغرض، فما أجاب إلى القرض دون قبض العوض.

فتخلّى الرّجل عمّا نيط به، و ردّ الأمر إلى السّاعى فى عطب الناس

تاريخ ميورقه، ص: ۱۲۶

و عطبه، و منع من جمع الرجالۀ شحّا على النفقۀ، و صيانۀ للإثمد بإتلاف الحدقۀ، و كان إذا تكلّم معه فى أمر الناس، و إشرافهم على اليأس، يخبر بقرب الفرج، و يعد بسلامۀ البلد و المهج، اتكالا على والى إفريقيۀ أن ينهد لإغاثته، فانظر إلى هذا العقد و رثاثته و القول و غثاثته ، و قيل إن كتاب هذا المنجد جاء بعد شهرين من دخول البلد بالسيف، يعد بالنّصرۀ عند إقبال زمان الصّيف.

تاريخ ميورقه، ص: ۱۲۷

فرار ولد الوالى

و كان له ولـد ينافس بعض إخوته ، و يحسـده/ ۴۲/ على مكانته عنـد الوالـد و حظوته، و كان يدلّ بالخلق الرّضـى، و يدلى بولادة لم يكن فيها حظ لهـذا الحظى، و لم يزل ينطوى من هـذا الأمر، على أحرّ من الجمر، و يرصـد الغوائل لأبيه، و يخطر بخاطره من المنتصـر أمر الشاب الشبيه.

فلمّا رأى حال البلـد، و قـدّر التشـفى من الوالد و الولد، ركب جنح الظلام ، و ارتكب جناح الأثام، و خرج إلى الرّوم فأكرموا مثواه، و ذمّوا له أبـاه الـذى أبـاه ، و أصـبح النـاس من خبره مرتـاعين، و لأمـر أبيه مراعين، فأدنـاهم و جمعهم، و أخـذ فى الـبراءة منه معهم، و أخبرهم أنه منذ عقل ما صدرت عنه

تاريخ ميورقه، ص: ۱۲۸

يمين، كانت ممّا يصدق أو يمين .

ثم حلف لهم أن القصـة كانت عنه محجوبـة، و لو علمها لما أخر عن ولده العاق عقوبة، و بكى حتى أبكى، و تولى من أفلح و تزكّى، و نفى من أضـرم نـار ولهه و أذكى. و من الاتفـاق أن يوم خروجه وقع حجر المنجنيق فى مقعـد الوالـد، فكـاد يقتله لو لاـ تأخر الأجل الوارد، فقيل إنّ الولد أطاع غوايته، و عيّن المكان فسوى عليه الرّامى رميته.

تاريخ ميورقه، ص: ۱۲۹

خروج أبى حفص بن شيرى من البلد و تمام الأخبار عن مفارقة روح الإيمان لذلك الجسد

و لما رأى ابن شـيرى أن العـدو قد استشـرى، و طمس على/ ۴۳/ المسـلمين طريق البشـرى، و لم يشك أن حامل الدّاهيـة تطلق ، و أن المدينـة بأكبر الرزايا تصبّح أو تطرق، خرج إلى الباديـة بنجدة يعدّها، و نصـرة يسـتجدّها، و ليسـعى فى إفساد ما كان بين أهلها و بين النصارى من وصـلة قاطعـة، و هدنـة خارقـة غير رافعة، عائدة بكل قارعة. فجمعهم و وعظهم، و من سـنة تلك الجهالة أيقظهم، و تولّى أمرهم على ألّا يتولى أحد منهم كافرا، و أن يكون له بقلبه و وجهه منافيا منافرا.

فأجـابوه لمـا شـرط، و قبضـوا من الرّوم مـا كـان انبسـط، و أجمعـوا على الانقطـاع من معسـكرهم، و قتلوا من كـان منهم بين أظهرهم. فـأوجس الرّوم منهم خيفـة ، و رأوا الشدائـد بهم مطيفـة، و قالوا إن احتبست المدينـة، و انقطعت عنّا الميرة المعينـة، و البرد قـد خشـن جانبه، و البحر قد خشـى راكبه، و هدنة الرّعية قد انتقضت، و أيام إرفادها و إرفاقها قد انقضت، فنحن فى قبضة الهلك، و طريق النّجاة عويصة السلوك على الخيل و الفلك.

و لم يبق إلّا أن نقاتل البلد بجملتنا، و نصدمه بسيل حملتنا،

تاريخ ميورقه، ص: ۱۳۰

و نتساقط على ناره كالفراش ، و نوسد على موصد بابه كلاب الهراش ، و إنما هو الظفر أو المنون، و إذا أخذنا البلد فما بعده يهون، و كان هذا يوم الجمعة الحادى عشر لصفر، (۱۱ صفر ۶۲۷ ه)، و قد وطن على الموت من أزمع السفر إلى سقر.

فلما كان يوم السبت/ ۴۴/ قـاتلوا البلـد كمـا عزموا و زعموا ، و ملأوا دلاء البلاء و أفعموا، و ساورت اللّيوث المغتالـة، و تسوّر مواضع الهدم الرّجالة، و كان يوما أيأس من السلامة، و أذكر بهوله هول يوم القيامة ، و قاتل أهل الأحد فى يومهم و هو الثانى، و تذامروا على التوانى، و وسّـعوا مـا تثلم من تلك المبانى، و زحفوا عن آخرهم، و تحملوا الحديـد فى باطنهم و على ظاهرهم، و شـدّوا على المشـيد فهشـموه، و كرّوا على ما دعّموا فأعدموه، و عارضوا من صدّهم فصدموه، و وصـلوا القتال باللّيل، و تطاردوا تحته كالسـيل، و تطارحوا على البلد رجّالة و على الخيل.

تاریخ میورقه، ص: ۱۳۱

و أصبحوا یوم الاـثنین و الحمام عابث فی تلک المهج الصابرة، و السّهام طائرة إلی القلوب الطائرة ، و الحمی یمنع و یطرق، و الثلم ترقع و تخرق، و غشیهم من الرجّالة أمثال الدّبا، ملأوا الوهاد و الرّبا ، و قیل قد بلغ الماء الزّبا ، و کلّ صارم الجد و نبا. لکنهم ردّوا و أردوا، و صدموا و صدّوا، و أمداد الرّوم فی الزیادة، و بإزائهم صبر من المسلمین أکرمهم الله بالشّهادة.

و لما رأوا رجالتهم یعنّون و لا یغنون، و یدانون بالردّ إذا یدنون، حملوا بالخیول و قد درّعوها، و رکضوا الصافنات إلی تلک الصّفاة فقرعوها

تاریخ میورقه، ص: ۱۳۲

و فرعوها . و تقدم أحدهم فأقحم فرسه فی تلک الثلمة، و أضرم قبسه فی تلک الظلمة، و کان/ ۴۵/ علی الفرس درعان غدیرهما یبرد حرّ الطعان، و حدیدهما یجدع مارن المرّان . فنکل عنه الناس و انتقضت الأساس، و حقّ الیأس، ثم دخل ثان و ثالث، و حدث معضل و اعضل حادث، و خلص الرّجالة إلی السّور المتشعث فتمکنوا من هدمه، و صدقهم الشیطان فی زعمه، و نفذ حکم الله و لا معقب لحکمه .

و لاقوا فی أول الشارع من کرام المسلمین جماعة، حبسوهم هنالک ساعة، و ثبت معهم الوالی زمنا، و أبلی بلاء حسنا، و دخل اللّعین ابن عبّاد، المحتقب من ردّته شرّ عتاد، فعدل بهم عن تلک الطریق إلی أخری، و تمّت بقضاء الله البطشة الکبری، و رجفت الرّاجفة ، و جالت فی البلد الخیول الجاریة بل السّیول الجارفة ، و ذهبوا بتلک النضارة، و أحالوا السیف علی المقاتلة و النظارة.

تاریخ میورقه، ص: ۱۳۳

فکم ثغر کلح بعد الابتسام، و رضیع فطم بالحسام، و غرّ ما جری علیه القلم ، سال بجاری دمه اللّقم ، و أعزل و جاه رامح، و جزع فاجأه بالقرح قارح، و مصونة عفر جبینها، و حامل تبعها فی إفاتة الحیاة جنینها، و مطرت سحب الدماء سحابة ذلک الیوم، و سمیت السابحات بالسّبح الذی هو بمعنی العوم، و قطعوا الوالی عن قلعة البلد ، و فاجأوه و هو فی عصبة قلیلة العدد، فدخل أحد الدّیار، و أحاط به شرذمة الکفار، و دخلوا إلیه و اکتنفوه، أنکروه ثم عرفوه ،/ ۴۶/ و سأل حضور القومط نونة فحضره فی مجلسه، و سار معه إلی محبسه .

تاریخ میورقه، ص: ۱۳۴

هذا و الحدمة محرقة، و الحطمة مستغرقة، (و الأعضاد تنصّف، و الأعضاء تقصّف، و الصدور تشهق) ، و النفوس تزهق، و الهام بشادخ الصّیخر تحصب، و الدّوائب بقانی الدّم تخضب. و احتبست القلعة بمن فیها من الخلق، و رجوا أن یخرجوا عن حکم أهل البلد فی القتل و الرّق، و جاءهم ملک أرغون فوعدهم بالإحسان، و کتب لهم بالأمان، و اشترطوا النفقة علیهم حتی یظعنوا بسلام، و یلحقوا ببلد الإسلام.

ثم تؤوّل علیهم فی الإیمان، و بیعوا بسوق الهوان، و جمع الأسری فامتلأت بهم الأرض، و کأنما جمعهم العرض، مولهون حیاری، سکاری و ما هم بسکاری ، و النّساء فی أیدیهن الأطفال، و الرّجال فی أعناقهم الحبال، فمن کبیر یحرم القوت و لا یرحم ، و صغیر یستطعم أمّه و أین المطعم، و فعل الحال للماضی ینسی، و البطون علی الطوی تصبح و تمسی ، و الحیاة کلا حیاة، و ذوات النعمة عدن ذاویات.

تاریخ میورقه، ص: ۱۳۵

و کان جمد البرد علی نقیض وقدة الحزن، و کانون الثانی یثنی علی غیر الکنّ ، و لیس علی القوم إلاـ ما یواری، و قد کبا الزند الواری، و تفقأت القلع السواری، فجاءهم من الأجل ما کانوا یریدون، و مات منهم فی تلک الأیام مثل من قتل أو یزیدون .

و قیل إن القتلی حین جمدت بسفک دمائها الصّیبة، و أنتنت جثثها/ ۴۷/ بفقد أرواحها الطیبة، جمع النصاری من القسّیسین أکبرهم، و

ذكّرهم بنعمة اللّه التى ليست فى الآخرة تذكرهم، و شرع من عند نفسه ما يقضى العجب من قائله، و قال من أخرج من البلد قتيلا فله مثل أجر قاتله، و أمر الملك بإحصائهم فبلغوا أربعة و عشرين ألفا، قتلوا على دم واحد رضّا و حطما و قصفا.

تاريخ ميورقه، ص: ۱۳۶

خبر الوالى بعد انقضاء حربه إلى أن صار إلى جزاء ربّه

هذا الرجل كان بالجزيرة قد استبدّ بإمارتها، و احتوى على فلاحتها و تجارتها، و عنى بجمع المال الجمّ، و لم يخرجه فى وجه من وجوه البرّ و الإثم، و فارق شهواته غير هذه الشهوة ، و ظن أنه جمع من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة . و النصارى أهل جزاف يقبلون محالا، و يقولون إن المسلمين أكثر أهل الأرض مالا، فلما حصل عندهم لم يشكّوا أن فى ورقه و عينه وفاء بوسق مراكبهم، و أن المشاهد منهما و الغائب يصل إلى شاهدهم و غائبهم .

فقالوا له أين الكنوز، و جوّزوا من كثرتها ما يحكم العقل بأنه لا يجوز، و لم يجدوا له من ذلك العدد الدّثر ، إلّا مقدار الثمن فيما باع مدّة الحصر، فأسلموه إلى العذاب المهين، و ظنّوه/ ۴۸/ بالعين عين الضّنين، و جمعوا له عداوة المنع إلى عداوة الدّين. و عاش خمسة و أربعين يوما فى

تاريخ ميورقه، ص: ۱۳۷

النكال الشديد، و الهول المذيب للحديد، و سيم أنواع البلاء فى ليله و نهاره ، و حمّل من ثقل السطوة به ما لعلّه يخفف من أوزاره .

و من جملة ما طرأ له فى هذه الأيام أن حمل إلى أحد معاقل الجزيرة و أهله به ممتنعون، و للذب عن حماه مجتمعون، فأمر أن يكلّمهم فى النزول و التسليم، و أطمع أن يخفّف عنه من العذاب الأليم، فدعاهم فما لبّوه، و أمرهم بالانقياد فعصوه. فأحضر النصارى له ولدا سنّة ستة عشر عاما، ضربوا بين يديه عنقه تنكيلا له و إرغاما، ثم أحضروا آخر ليقتلوه فتنصّر، و بذلك كفّ عنه قاتله و أقصر.

ثم إنه ردّ إلى البلد، و أبقى فى العذاب الذى لا بقاء عليه للجلد، فما بضّ لهم بقطرة من البحار المظنونة ، و لا أباحهم ما قيل من الأموال المصونة، فقضى العجب من أمره، و تحدّث من شاهده بجميل صبره، و مات

تاريخ ميورقه، ص: ۱۳۸

تحت العذاب، و لحق بمن عنده أم الكتاب ، و أذن ملك الرّوم لأهله فى غسله و قبره، و أخبرهم بأن ما جرى عليه لم يكن من رأيه و لا عن أمره، و اصطفى من بناته من اختار، و سائر أهله قاسوا مع الأسارى الإسار.

تاريخ ميورقه، ص: ۱۳۹

قصة الجبل

/ ۴۹/ هذا الجبل يمنع من سكنه، و له من الجوانب الوعرة ما حصّنه، و فيه من الخصب و الفواكه ما طيبه و حسّنه، و حين غلب الرّوم على الجزيرة سنة ثمان و خمس مائة (۵۰۸ ه) أنجى أهله من عدوانهم، و عصم من أوى إليه من طوفانهم .

فلمّا تمّ على البلد ما تمّ، و خصّ الرّزء باليوم الأشنع و الخطب الأفظع و عمّ، نجا إليه الفلّ و هم ألوف، و رجوا أن يشمخ بأنفه الشامخ منهم أنوف ، فأنجدهم حين استنجدوا، و احتضنهم كأنه حضن و هم قد أنجدوا، و أصبحت فجاجه و هى بهم قد غصّت، و طاروا إليه و أجنحتهم من القوت قد قصّت .

فجمعهم ابن شيرى و كتبهم، و انتقى الأنجاد و انتخبهم، و بلغ عددهم عنده فى بدء الأمر ستة عشر ألف راجل، بين أصلى و واصل.

تاريخ ميورقه، ص: ۱۴۰

فأما عدد الرؤوس فيه فكانوا يقدّرون بخمسين ألفا، سقطوا عجفا و ضعفا، و نسف الحمام و الحسام أرواحهم نسفا، فنزلوا عند رأيه، و

أطاعوه فى أمره و نهيه، و حصّن الحصون الثلاثة، و منّاهم المعونة و الإغاثة، و تعاهد المصالح، و جعل على المسالك مسالح ، فكانوا مع القوة يهبطون إلى السّهل لطلب الميرة، و يجدون حاجتهم من الأطعمة الكثيرة، و ربّما تلاقوا مع الرّوم فظهروا عليهم ظهورا مستغربا، و أخذوا من خيلهم مغربا، و من رجالهم مغرّبا.

و لقد هابهم الرّوم أوّل الحال،/ ۵۰/ و نادى إمام ضلالهم عند وابل و بالهم ألا صلّوا فى الرّحال، لكن هؤلاء يقاتلون و وراءهم القوة و النجدة، و العدد و العدّة، و هؤلاء يجالدون و الرّبا فيهم قد فشا، و القرّ لا يكسر سورته حرّ الحشى، و الجوع قد قعد بمن مشى، و عدم المنتاش فتوهمه الناظر أنه قد انتشى.

و كتبوا إلى أهل منورقة أن يمدّوهم بالطعام، و يعينوهم على المقام،

تاريخ ميورقه، ص: ۱۴۱

فأجابوهم بأنهم يعطونه منه جملة كثيرة تزلفا بهذه المأثرة، و يبيعون منهم مثلها نسيئة إلى وقت الميسرة. و علم النصارى ذلك فجعلوا على الطريق من أجفانهم مانعا من الإجازة، قاطعا للسّفر فى تلك المفازة، فاشتد الغلاء بعدم الغلّة، و عدم من يقوم بسدّ المهمّين الثغر و الخلّة .

ورقى النصارى إليهم فى بعض الأيام فصدقوهم القتال، و أجالوا عليهم الأوجال، و ثبت المسلمون لهم بثبوت صاحبهم، و فلّوا مضارب الظبى من مضاربهم، و قتلوا منهم نحو السّبعين رجلا، لم يتركوا للذئب و للنسر فيهم أملا، فإنهم أكلوا منهم و تزودوا، و ذلك بعد ما أفنوا بقايا الزاد و أنفذوا، و أنسوا بهذا الترخص، و شرهوا إلى القتال الدّاخل فى باب التقنص، فكانوا يقاتلون من جاءهم، و يقتسمون أسلابهم و أشلاءهم، و وجدوا فى لهواتهم حلاوتهم.

تاريخ ميورقه، ص: ۱۴۲

و شاهد الرّوم ضرّهم و ضراوتهم،/ ۵۱/ فزحف إليهم خميسهم ، و أتتهم من بين أيديهم و من خلفهم فى تلك الأساليب أباليسهم.

و كانت بينهم وقائع ثبت فيها ابن شيرى مع كرام من أصحابه باعوا بالجنة أنفسهم، و قبلهم رضوان و فى مجالس السّعداء أجلسهم، و فى آخرها جاءته الشّهادة، و تلقته من ربّه الحسن و الزيادة، و صار إلى الله مجاهدا فى ذاته، صابرا على جهاده من الحدّ فى آياته، و ذلك ضحى يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر من سنة ثمان و عشرين و ستمائة (۱۰ ربيع الثانى ۶۲۸ ه)، و مولده رحمه الله تعالى يوم الجمعة غرّة شوال من سنة إحدى و خمسين و خمس مائة (۵۵۱ ه)، و جدّه شيرى رومى الدّين و عليه فتحت الجزيرة ، و له و لسلفه

تاريخ ميورقه، ص: ۱۴۳

قبله فيها المنزلة الشّهيرة الكبيرة. و يعتزى إلى جبلة بن الأيهم الذى خاف القصاص و قد بدرت منه لطمة، و عرف أنها من الفاروق رضى الله عنه عزمة، فخرج إلى ملك الرّوم من حينه، و لحق به عائذا به، عائدا فى دينه، و خبره مذكور، و نسبه فى غسّان مشهور.

و لما استشهد رحمه الله اختل بعده الأمر جملة، و عدم بقايا المسلمين بينهم وصلة، و لجأوا إلى بعض رعان الجبل، و هم فى غاية الوله و الوهل، و أرسل الله بالشتاء و الثلج كل عارض و كاف، فمات منهم هنالك نحو ثلاثة آلاف، و غلبهم الرّوم، و نفذوا القدر المحتوم، و بيع/ ۵۲/ الأسارى بالثمن البخس، و غار لهم نجم السّعد و استولى طالع النحس، فاهلكوا و أبيدوا،

تاريخ ميورقه، ص: ۱۴۴

و أسروا و قيدوا، و صار قصصهم عبرة، و ملأ مصابهم القلوب حسرة.

و أما الحصون الثلاثة فإنها امتنعت حتى صولح أهلها على السياحة فى الأرض، و السماحة لهم بثلث ما عندهم من النقد و العرض، و طلبوا أن يكون نزولهم للملك و بمشهده، و كان قد صدر عن الجزيرة إلى بلده، فخوطب بالحديث، و جاءهم بالعزم الحثيث، فنزلوا على سلم محلية، و ركبوا الأمر بهيما لا شىء عليه من سية، و سيّروا فى سفن رومية، و أخذ الكراء على الضعيف ممّن خرج ببقية، فلحق المترب بالتّرب، وثووا من حال الفاقة بالمحل الخرب، و باستخلاص هذه المعاقل الثلاثة خلصت الجزيرة لأهل التثليث، و

بتسلّمها نفض الإسلام منها يده و هذا آخر الحديث. تاريخ ميورقه ؛ ص۱۴۵

تاريخ ميورقه، ص: ۱۴۵

و الحمد لله الذى بيده البسط و القبض ، و بإذنه تقوم السماء و الأرض ، و صلّى الله على نبيه الذى به عرفت السنة و الفرض، و بتأييد الله له أحاط بعدد الشرك و عقده النقص و النقض .

تاريخ ميورقه، ص: ۱۴۶

فهرس الأعلام و الأماكن و البلدان الواردة فى المخطوط

- أ- ابن عبّاد عامل بلانسة: ۱۱۴، ۱۴۴.

ابن الخطّاب عمر (الخليفة الثانى): ۸۶.

أبو إبراهيم إسحاق بن محمد بن غانية المسوفى: ۷۳.

أبو بكر الصدّيق (الخليفة الأول): ۷۴.

أبو حفص بن شيرى: ۹۳، ۱۲۹.

أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد الحفصى: ۶۳، ۱۲۶.

أبو عبد الله محمد بن السيد أبى حفص عمر بن عبد المؤمن: ۶۳.

أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفى: ۹۴.

أبو مروان عبد الملك بن إبراهيم خطيب ميورقة: ۱۱۸.

أبو يحيى التنملّى والى ميورقة: ۸۱، ۱۱۸، ۱۲۲، ۱۲۵، ۱۳۳، ۱۳۶، ۱۳۷.

الأندلس: ۱۲۲، ۱۳۳، ۱۴۱.

أرغون (أراجون): ۹۲، ۱۳۴.

إفريقية: ۶۶، ۱۲۶.

تاريخ ميورقه، ص: ۱۴۷

- ب- باب الكحل: ۱۰۸، ۱۰۹.

برشلونة: ۷۰، ۹۲، ۱۲۱، ۱۳۹، ۱۴۱.

بلنسية: ۶۳، ۶۴، ۶۶، ۹۰، ۹۲.

بنشكلّة: ۹۰، ۹۱.

- ج- جاقمه بن بطر بن أدفونش (خايمى الأول): ۶۳، ۶۶، ۶۷، ۶۸، ۷۳، ۹۲، ۹۶، ۹۹، ۱۰۳، ۱۱۱، ۱۱۴، ۱۱۵، ۱۲۱، ۱۴۴.

جبلة بن الأيهم الغسانى: ۱۴۳.

جنوة: ۷۰، ۷۲.

- س- سردانية: ۹۱.

سيف بن ذى يزن: ۷۲.

- ش- شنت بوصة (مرسى): ۹۸.

- ط- طرطوشة: ۷۰، ۹۸.

تاريخ ميورقه، ص: ۱۴۸

- ع- العدوة المغربیة: ۶۶، ۸۴، ۱۰۵.

- ق- قدار بن سالف (عاقر الناقة): ۷۲.

القومط نونة: ۱۲۲، ۱۳۳.

- م- مرسی شلوط: ۷۷.

مرسی یابسة: ۶۶، ۶۷، ۷۰.

مسیلمة الکذاب: ۷۴.

منورقة: ۱۴۰.

میورقة: ۶۳، ۶۴، ۶۵، ۶۷، ۷۲، ۷۴، ۷۹، ۸۰، ۹۰.

- و- وادی کونة: ۹۱.

- ی- یابسة: ۶۶، ۶۷، ۷۰.

تاریخ میورقه، ص: ۱۴۹

المصادر و المراجع المستخدمة فی الدراسة و التحقیق ابن الأبار أبو عبد الله محمد، التکملة لکتاب الصلة. تحقیق عبد السلام الهراس.

الدار البیضاء: دار المعرفة، ۱۹۹۵.

ابن الأبار أبو عبد الله محمد، المعجم فی أصحاب القاضی الصدفی.

القاهرة: دار الکتاب العربی للطباعة و النشر، ۱۹۶۷.

ابن الأبار أبو عبد الله محمد، الحلة السیراء. تحقیق حسین مؤنس.

القاهرة: دار المعارف، ۱۹۸۵ م.

ابن الأثیر أبو الحسن علی بن محمد، الکامل فی التاریخ. بیروت: دار الکتاب العربی، ۱۹۸۳.

ابن أنس أبو عبد الله مالک، الموطأ. إعداد أحمد عرموش. بیروت:

دار النفائس، ۱۹۸۲.

ابن أبی دینار محمد الرعینی، المؤنس فی أخبار إفریقیة و تونس.

بیروت: دار المسیرة، ۱۹۹۳.

ابن أبی زرع علی بن عبد الله، الأنیس المطرب بروض القرطاس.

الرباط: دار المنصور، ۱۹۷۳.

ابن الخطیب أبو عبد الله محمد، الإحاطة فی أخبار غرناطة. تحقیق عنان محمد عبد الله. القاهرة: مکتبة الخانجی، ۱۹۷۵.

ابن الخطیب أبو عبد الله محمد، أعمال الأعلام. نشره لیفی بروفنسال. بیروت: دار المکشوف، ج ۲، ۱۹۵۶.

ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، کتاب العبر و دیوان المبتدأ

تاریخ میورقه، ص: ۱۵۰

و الخبر. بیروت: دار الکتب العلمیة، ۱۹۹۲.

ابن خلکان أحمد بن محمد، وفیات الأعیان و أنباء أبناء الزمان.

تحقیق إحسان عباس. بیروت: دار القلم، ۱۹۷۱.

ابن زیدان عبد الرحمن، إتحاف أعلام الناس. تقدیم عبد الهادی التازی. الدار البیضاء: مطابع إدیال، ۱۹۹۰.

ابن سعید المغربی، المغرب فی حلی المغرب. تحقیق شوقی ضیف.

القاهرة: دار المعارف، ۱۹۶۴.

ابن شریفة محمد، أبو المطرف أحمد بن عمیرة المخزومی، حیاته و آثاره. الرباط: منشورات المرکز الجامعی للبحث العلمی، ۱۹۶۶.

ابن صاحب الصلاة عبد الملک، تاریخ المن بالإمامة. تحقیق عبد الهادی التازی. بیروت: دار الغرب الإسلامی، ۱۹۸۷.

ابن عبـد الملک أبو عبد الله محمد، الذیل و التکملة لکتابی الموصول و الصـلة. تحقیق إحسان عباس و محمد بن شـریفة. بیروت: دار الثقافة.

الرباط: مطبعة المعارف، ۱۹۷۴- ۱۹۸۴.

ابن عذاری المراکشی، البیان المغرب فی أخبار الأندلس و المغرب.

بیروت: دار الثقافة. و القسم الخاص بالموحدین. بیروت: دار الغرب الإسلامی، ۱۹۸۵.

ابن فرحون المالکی، الدیباج المذهب فی معرفة أعیان علماء المذهب. تحقیق محمد الأحمدی. القاهرة: دار التراث، ۱۹۷۲.

ابن القاضی أحمد المکناسی، جذوة الاقتباس فی ذکر من حل من الأعلام مدینة فاس، الرباط: دار المنصور، ۱۹۷۳.

تاریخ میورقه، ص: ۱۵۱

ابن الکردبوس أبو مروان عبد الملک، الاکتفاء فی أخبار الخلفاء.

مدرید: صحیفة المعهد المصری للدراسات الإسلامیة، ۱۹۷۱.

ابن المستوفی شرف الدین الأربلی، نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل، تحقیق سامی بن السید خماش الصقار.

ابن منظور أبو الفضل محمد، لسان العرب. بیروت: دار صادر، ۱۹۹۲.

ابن هشام، السیرة النبویة، تحقیق مصطفی السقا و آخرین، بیروت: دار إحیاء التراث العربی، بدون تاریخ.

الإدریسی أبو عبد الله محمد، نزهة المشتاق فی اختراق الآفاق.

القاهرة: مکتبة الثقافة الدینیة، ۱۹۹۴.

أرسلان شکیب، الحلل السندسیة فی الأخبار و الآثار الأندلسیة، القاهرة: المطبعة الرحمانیة، ۱۹۳۶.

أشباخ یوسف، تاریخ الأندلس فی عهد المرابطین و الموحدین.

ترجمة محمد عبد الله عنان، القاهرة: مکتبة الخانجی، ط ۲، ۱۹۹۶.

ألبارو کامبانیر، تخطیط تاریخی للحکم الإسلامی فی جزر البلیار، بلما دی میورقة، ۱۸۸۸.

أمبروسیو هویثی میرندا، التاریخ السیاسی للإمبراطوریة الموحدیة.

ترجمة عبد الواحد أکمیر، الدار البیضاء: مطبعة النجاح الجدیدة، ۲۰۰۴.

آنخل جنثالث بالنثیا، تاریخ الفکر الأندلسی. ترجمة حسین مؤنس.

القاهرة: مکتبة الثقافة الدینیة، ۱۹۵۵.

تاریخ میورقه، ص: ۱۵۲

البکری أبو عبید، المسالک و الممالک. تحقیق أدریان فان لیوفن و أندری فیری. تونس: الدار العربیة للکتاب، ۱۹۹۲.

الحموی أبو عبد الله یاقوت، معجم البلدان. بیروت: دار بیروت للطباعة و النشر، ۱۹۸۴.

الحمیری محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار فی خبر الأقطار.

تحقیق إحسان عباس، بیروت: مکتبة لبنان، ۱۹۸۴.

الرافعی مصطفی صادق، تاریخ آداب العرب، بیروت: دار الکتاب العربی، ط ۴، ۱۹۷۴.

الزرکلی خیر الدین، الأعلام، بیروت: دار العلم للملایین، ۱۹۹۵.

الزهری أبو عبد الله محمد، کتاب الجغرافیة. تحقیق محمد حاج صادق. القاهرة: مکتبة الثقافة الدینیة، دون تاریخ.

الزیات أحمد، تاریخ الأدب العربی. بیروت: دار الثقافة، بدون تاریخ.

السوسی محمد المختار، المعسول. الدار البیضاء: مطبعة النجاح، ۱۹۶۱.

السید سابق، فقه السنة. بیروت: دار الکتاب العربی، ۱۹۸۵.

الطبری أبو جعفر محمد، تاریخ الأمم و الملوک. بیروت: دار القاموس الحدیث للطباعة و النشر، بدون تاریخ.

العبدری أبو عبد الله محمد، رحلة العبدری، تحقیق محمد الفاسی، الرباط: وزارة الشؤون الثقافیة، ۱۹۶۸.

تاریخ میورقه، ص: ۱۵۳

العروی عبد الله، مجمل تاریخ المغرب. بیروت: المرکز الثقافی العربی، ۱۹۹۴.

عصام سالم سیسالم، جزر الأندلس المنسیة، بیروت: دار العلم للملایین، ۱۹۸۴.

عنان محمد عبد الله، عصر المرابطین و الموحدین فی المغرب و الأندلس، القاهرة: مطبعة لجنة التألیف و الترجمة، القسم الأول و الثانی، ۱۹۶۴.

عنان محمد عبد الله، الآثار الأندلسیة الباقیة فی إسبانیا و البرتغال، دراسة تاریخیة أثریة، القاهرة: مطبعة لجنة التألیف و الترجمة و النشر، ۱۹۶۱.

عودة عبد القادر، التشریع الجنائی الإسلامی، بیروت: مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزیع، ط ۵، ۱۹۸۴.

الغبرینی أبو العباس أحمد، عنوان الدرایة. تحقیق رابح بونار.

الجزائر: الشرکة الوطنیة للنشر و التوزیع، ط ۵، ۱۹۸۱.

الفیروز أبادی محمد بن یعقوب، القاموس المحیط. ضبط و توثیق یوسف البقاعی، بیروت: دار الفکر، ۱۹۹۵.

المجالی سحر عبد المجید، تطور الجیش العربی فی الأندلس.

الأردن: دار مجدلاوی للنشر و التوزیع، ۱۹۹۶.

المراکشی عبد الواحد، المعجب فی تلخیص أخبار المغرب، تحقیق محمد سعید العریان و محمد العربی العلمی، الدار البیضاء: دار الکتاب، ۱۹۷۸.

تاریخ میورقه، ص: ۱۵۴

المقدسی أبو محمد عبد الرحمان، الروضتین فی أخبار الدولتین، بیروت: دار الجیل، دون تاریخ.

المسعودی أبو الحسن علی، مروج الذهب و معادن الجوهر. الجزائر:

المؤسسة الوطنیة للفنون المطبعیة، ۱۹۸۹.

المقری أبو العباس أحمد، نفح الطیب. تحقیق إحسان عباس، بیروت: دار صادر، ۱۹۶۸.

المنونی محمد، ورقات عن حضارة المرینیین، الدار البیضاء: مطبعة النجاح الجدیدة، ۱۹۹۶.

مؤنس حسین، تاریخ الجغرافیا فی الأندلس. منشورات معهد الدراسات الإسلامیة بمدرید، ۱۹۶۷.

المیدانی أبو الفضل أحمد، مجمع الأمثال. بیروت: منشورات دار مکتبة الحیاة، ط ۲، دون تاریخ.

میجیل الکوبیر، الإسلام فی میورقة. بلما دی میورقة، ۱۹۳۴.

النجار عبد الوهاب، الخلفاء الراشدون. بیروت: دار القلم، ۱۹۸۶.

النخیلی درویش، السفن الإسلامیة علی حروف المعجم، جامعة الإسکندریة، ۱۹۷۴.

تاریخ میورقه، ص: ۱۵۵

المحتوى

التقديم ۳
مؤلّف الكتاب ۳
مؤلفات ابن عميرة ۱۱
عنوان الكتاب ۱۷
الباعث على تأليف الكتاب ۱۹
تاريخ تأليف الكتاب ۲۰
أسلوب الكتاب ۲۲
محتوى الكتاب ۲۵
ميورقة قبل السقوط ۲۵
والى ميورقة أبى يحى التنملّى ۲۹
بوادر العدوان الصليبى على ميورقة ۳۲
الاستعداد للحرب ۳۴
تصدّع الجبهة الدّاخلية الميورقية عشية العدوان الصليبى ۳۵
تاريخ ميورقه، ص: ۱۵۶
الصدام المسلّح و فرض الحصار على مدينة ميورقة ۴۳
سقوط مدينة ميورقة ۴۷
المخطوط و طريقة التحقيق ۵۱
مقدّمة المؤلّف ۶۱
ابتداء أمر الجزيرة بالأخبار عن أميرها و توليه لتدبيرها إلى وقت تدميرها ۶۳
وصف ما جرى من الجزيرة التى هاجت الرّوم لغزو الجزيرة ۶۶
قصة المسطّح و المركب ۷۰
حديث ملك الرّوم حين عاد إليه رسوله من مراده مخفقا و للخبر المثير لأحقاده محققا ۷۶
وصف ما نشأ أثناء هذا التدبير من تهيب الرّوم لهذا المرام الكبير ۷۹
سبب اختلاف الرّعية الجانى على البلد أعظم البلية ۸۱
حديث ما كان بالجزيرة من النظر حين ورد بحركة الرّوم صحيح الخبر ۸۴
ذكر الثورة التى كانت باكورة البطشة الكبيرة و أوّل بلاء نزل من السّماء على الجزيرة ۸۶
تاريخ ميورقه، ص: ۱۵۷
قصّة الغراب و تجهيزه بالحث و توجيهه فى البحر للبحث ۹۰
بيان ما أحدثه الوالى ممّا أضرم نار الحرقة و أبرم أسباب الفرقة ۹۳
حديث مفاجأة الأسطول و إطلاله على الساحل للنزول ۹۵
خبر الرّوم حين تأهّبوا بالمرسى المذكور و تهيّأوا من عبره للعبور ۹۹

عاد الحديث عن إطلالهم على البر و إطلاقهم أعنة الشر ۱۰۲
حديث الوقعة الكبرى ۱۰۴
قصّة الحصار و ما حفظ فيه من الأخبار ۱۰۸
حديث اجتماع أهل البادية لإصراخ الحاضرة و مناجزة فئة الكفر الحاصرة ۱۱۲
ذكر ابن عبّاد و مصيره إلى ارتداء الخزى بالارتداد ۱۱۴
نظر أهل البلد فى بعث النذر لتلافى هذا الأمر النّكر ۱۱۶
رجع الحديث إلى أمر الحصر و ما أخطأ أهل البلد بإصابة القدر من النّصر ۱۲۰
وصف ما جرى من الرأى المدار عند ما شامه الناس من بوارق البوار ۱۲۵
فرار ولد الوالى ۱۲۷
تاريخ ميورقه، ص: ۱۵۸
خروج أبى حفص بن شيرى من البلد و تمام الأخبار عن مفارقة روح الإيمان لذلك الجسد ۱۲۹
خبر الوالى بعد انقضاء حربه إلى أن صار إلى جزاء ربّه ۱۳۶
قصة الجبل ۱۳۹
فهرس الأعلام و الأماكن و البلدان الواردة فى المخطوط ۱۴۶
المصادر و المراجع المستخدمة فى الدراسة و التحقيق ۱۴۹
المحتوى ۱۵۵

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علىّ ُبنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بِساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.
مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم

الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّـُبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹